

الأستاذ سعيد الله أحمد عامر



الرَّابِطَةُ الْقَلْبِيَّة

الرَّابِطَةُ الْقَلْبِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى

وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ

الإهداء

راسخٌ في علوم الروح والجسم، يترعرع في أرباض كردستان وينهل العلم والحكمة في رياضها الجميلة
ثمّ يستقر في بغداد دار الحرب والسلام، مربياً وأستاذاً مجتهداً، فيصوغ أسفاراً تنشر الخير والندى
ويسقي الأنفس رحيقاً من مشكاة الكتاب والسنة فتحيا بإذن الله عز وجل.

إلى مقام سيدي حضرة الشيخ الدكتور عبد الله مصطفى الهرشمي طيب الله تعالى روحه وذكره وثره
القائل:-

يَا غَيْبُ تَسْقِي كَمَا نَسْقِي عَلَى ثِقَةٍ *** أَنْتَ الْحُقُولَ وَنَحْنُ الْأَنْفُسَ الزُّهْرَا

نَدَاكَ يُرَبِّي لِعَيْشِ النَّاسِ بُلْغَتَهُ *** أَمَا نَدَانَا فَيُحْيِي الْقَلْبَ وَالْفِكْرَا

(نفحات الحياة: ص: 11)

خُوَيْدُمُ جَاوَزَ قَدْرَهُ

سعد الله أحمد عارف البرزنجي

شكر وثناء

بعد حمد الله تعالى وشكره القائل في محكم كتابه:-

{--- وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [سورة النمل: 19]

والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيّدنا محمد القائل:-

(مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ) الإمام أحمد رحمه الله سبحانه (472/12)

أتقدّم بخالص شكري الموصول بالامتنان والثناء لسَيِّدي حضرة الشيخ الدكتور محمد الهرشمي، سائلاً
الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء، ويمنّ عليه بالصحة والعافية والهناء.

كما أتقدّم بالشكر والتقدير للفاضلين الذين صمّموا غلاف الكتاب الأستاذ الفنان: غسان محسن، والخطاط:
محمود الملاً.

وصلّى الله تعالى على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله ربّ العالمين

تمهيد

الحمد لله الذي شرح صدور الصادقين لذكره، وعمر قلوبهم بألطف فضله، وقربهم ﷺ إلى جنبه بمتة وجوده، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة لخلقه، سيدنا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فهذه صفحات تتحدث عن الرابطة القلبية في الشريعة الإسلامية رتبها على مقدمة وفصول ثلاثة وخاتمة، فالمقدمة ذكرت فيها نبذة عن أهمية القلوب وبعض الأسباب لاختيار هذا الموضوع، وبيّنت في:-

الفصل الأول معنى الرابطة القلبية لغة، وبعض مواضع ورود هذا اللفظ في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ثم عرّفها اصطلاحاً مبيّناً التعريف بشرح فيه نوع تفصيل بأسلوب السؤال والجواب.

ولما كانت الرابطة القلبية عملاً روحياً، وتواصلًا بين المرشد الربّاني والمسترشد، عرّفت المرشد وذكرت بعض خصائصه وما يجب في حقّه، وذكرت نبذة عن التأثير الروحي في جانبه الإيجابي والسلبى وذلك في الفصل الثاني.

وفي الفصل الثالث بيّنت أنّ الإيمان بالروح وآثارها أمرٌ مجمعٌ عليه بين علماء الإسلام مع بيان حكم الرابطة.

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وبعض الوصايا والمراجع التي استفدت منها.

والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به المؤمنين والمؤمنات إنّه وليّ ذلك والقادر عليه ﷺ.

اعْمَلْ لِنَفْسِكَ صَالِحًا لَا تَحْتَقِلْ *** بِظُهُورِ قَيْلٍ فِي الْأَنْامِ وَقَالَ

فَالْخُلُقُ لَا يُرْجَى اجْتِمَاعُ قُلُوبِهِمْ *** لَا بُدَّ مِنْ مَنْ عَالِيكَ وَقَالَ

تاريخ قضاة الأندلس (53/1)

أفقر الورى لعفو المولى

سعد الله أحمد عارف

مقدمة

1- أهمية القلب:

ورد لفظ القلب في كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ﷺ في مواضع كثيرة دلّ على أهميته وضرورة العناية به، والتماس بركته ووسائل استثماره والمحافظة عليه، ومنها، قوله تعالى:-

{ ... وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [سورة آل عمران عليهم

السلام: 154]

وقوله ﷻ:-

{ ... وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } [سورة الأعراف: 100]

وقوله ﷻ:-

{ ... لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ

هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ } [سورة الأعراف: 179]

وقوله عزّ من قائل:-

{ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣٣﴾ هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٤﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ

وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ } [سورة ق: 31 - 33]

وقوله ﷻ:-

{ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [سورة الشعراء: 88 - 89]

وقوله تعالى:-

{ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا } [سورة الفتح: 18]

وقوله ﷺ:-

{وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} [سورة الحجرات: 7]

وقوله ﷺ:-

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَىٰ صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ) الإمام مسلم رحمه الله تعالى (11/8).

وقوله بأبي وأمي ونفسي هو ﷺ:-

(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) متفق عليه.

والقرآن الكريم وجه المهتدين بضرورة الالتجاء إلى الله تعالى لحفظ قلوبهم من الزيغ وغيره من الصفات المؤذية فعلمهم هذا الدعاء المؤثر:-

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [سورة آل عمران عليهم السلام:

[8]

وتحدّث عن صفات القلب الحميدة كالإنابة، والخشوع، واللّين، والوجل، وغيرها، كما تحدّث عن صفاته الذميمة كالطبع، والغفلة، والغيب، والعمى، وغيرها.

ب- سبب اختيار الموضوع:

فهذه النصوص التي ذكرت في الفقرة السابقة وغيرها وهي كثيرة جداً تدلُّ على أهمّية القلب وهي السبب الأوّل لاختيار هذا البحث.

وقد تفضّل الله ﷺ عليّ بصحبة الصّادقين والمهتمين بشؤون الأمّة الإسلامية بشكل خاص، وبقية النّاس بشكل عام، فوجدتُ منهم توجيهًا وإرشادًا إلى ضرورة تفعيل الطاقات الخيرة في الروح الإنسانية، وضرورة الاستفادة من قوّة قلوب قريبتها الله ﷺ إليه وذلك بالصّحبة الصّالحة القائمة على رباط المحبّة

(الرابطة الشريفة) فقد سألتني كثير من المسلمين والمسلمات عنها فكان هذا السبب الثاني لاختيار هذا البحث.

ولمّا أكرمني الله تبارك وتعالى بممارسة هذا العمل القلبي وجدتُ منافعه العظيمة في إحياء قلبي بذكر الله ﷻ فأحببتُ أن أوضّحه وأقدّمه لإخواني وأخواتي تحت أضواء قول سيّد السادات حبيبنا محمد ﷺ:-
(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) متفق عليه.

فكان هذا السبب الثالث لاختياره.

وضعف الثقافة الروحية عند المسلمين سببٌ رابع لكتابة هذا البحث يضاف إلى الأسباب السابقة.

وبعد هذا فقد آن الأوان للدخول إلى فصول هذا البحث تحت أضواء مشكاة الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

فيا ربّنا نسألك أن تحيي قلوبنا بنور كتابك الكريم وهدى حضرة خاتم النبيين عليه وآله وصحبه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

الفصل الأول

معنى الرابطة لغة واصطلاحاً

وبعض مواضع ورود هذا اللفظ

في الكتاب والسنة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الرابطة لغةً

المبحث الثاني: بعض المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ

المبحث الثالث: الرابطة اصطلاحاً

المبحث الأول: تعريف الرابطة لغةً:

هي من مصطلحات السادة الكرام علماء الإسلام الذين يعنون بالتركية والعمل الروحي الإسلامي ﷺ، ولا مشاحة في الاصطلاح.

وهي في اللغة: "اسم من الربط، وهو الشدّ والتثبيت واللزوم" (المحيط في اللغة: 9/168، ومختار الصحاح: 1/267)

فالصداقة رابطة بين صديقين، والمحبة رابطة بين متحابين، والتعليم رابطة بين الأستاذ والتلميذ، والتوجه الروحي رابطة بين المرشد المدرّب والسالك المتدرّب، فالرابطة هي الصلة بين شيئين أو إنسانين، فإذا كانت في مجال علم الروح فهي بذلك صلة روحانية" (معالم الطريق: ص 305 - 306).

المبحث الثاني: بعض المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ:

وقد وردت هذه اللفظة ببعض مشتقاتها في مواضع من كتاب الله تعالى وأحاديث سيّدنا رسول الله ﷺ، أتشرّف ببعضها مبيّناً ما يعين على فهم الرابطة من خلالها.

الموضع الأول:-

قال تعالى:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [سورة آل عمران عليهم السلام: 200]

ففي هذه الآية الكريمة ينادي الله تعالى على عباده المؤمنين بهذه الصفة المحببة إلى قلوبهم، صفة الإيمان التي تستنهض همهم وتحفز طاقاتهم:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ليذكر ﷺ بمقتضيات الإيمان ومنها تطبيق الأوامر واجتناب النواهي، لأنّ الإيمان عقد بين المؤمن وخالقه ﷻ، وهو من أقدم الروابط التي يعرفها الناس "اصْبِرُوا" أي: احبسوا أنفسكم على ما تكره وتستنقل، "وَصَابِرُوا" وهي مفاعلة، أي قاوموا دواعي عدم الصبر كتأخر النصر وشدّة الفتن الظاهرة والباطنة، "وَرَابِطُوا" أي: استمروا على الصبر والمصابرة واثبتوا في المواضع التي تحمي دينكم، لأنّ المرابطة: هي الثبات واللزوم والإقامة على سبل النجاة والنجاح، فقد يصبر العبد ولا

يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى، كما هو حال بعض أهل الضلال، فالمرابطة: هي لزوم الثغر الذي يخشى دخول العدو منه، وفيها أجر عظيم من الله الكريم ﷻ، فالآية بشرت بالفلاح "لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ"، وهي كلمة جامعة لكل خير يتمناه الإنسان في دنياه وأخراه.

وسيدنا رسول الله ﷺ ورد عنه أنه قال:-

(رَبَّاطٌ يَوْمٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعٌ سَوِّطٌ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) الإمام البخاري رحمه الله عز شأنه (1059/3)

وفي رواية:-

(رَبَّاطٌ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانَ) الإمام مسلم رحمه المنعم جل ذكره (50/6).

وعنه ﷺ:-

(كُلُّ مَيِّتٍ يُحْتَمُّ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ) الإمام الترمذي رحمه الله تعالى (165/4).

وجهاد الرباط صورة من صور الجهاد في الإسلام لها أحكامها وآدابها، لحقائقه. معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي (ص 189 - 200).

ولا تقتصر المرابطة على هذه الصورة فقط بل تتعداها إلى غيرها، وأجمل ما اطلعت عليه هو ما كتبه ونقله العالم المفضل ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - في بعض كتبه أنقل منه ما يسمح به المقام وتجلو به الأفهام:-

"قيل: اصبروا بنفوسكم على طاعة الله، وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله، ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله، وقيل: اصبروا على النعماء، وصابروا على البأساء والضراء، ورابطوا في دار الأعداء، وانتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون.

والمرابطة الثبات وإعداد العدة، كما أنّ الرباط لزوم الثغر لئلا يهجم عليه الشيطان فيملكه أو يخربيه أو يشعته.

وعلم ﷺ عباده كيفية هذه الحرب والجهاد، فجمعها لهم في أربع كلمات: {اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ} ولا يتم أمر هذا الجهاد إلا بهذه الأمور الأربعة، فلا يتم له الصبر إلا بمصابرة العدو وهي مقاومته ومنازلته، فإذا صابر عدوّه احتاج إلى أمر آخر وهو المرابطة: وهي لزوم ثغر القلب وحراسته لئلا يدخل منه العدو، ولزوم ثغر العين، والأذن، واللسان، والبطن، واليد، والرجل.

فهذه الثغور منها يدخل العدو، فيجوس خلال الدّيار، ويفسد ما قدر عليه، فالمرابطة لزوم هذه الثغور، ولا يخلي مكانها فيصافد العدو ثغراً خالياً فيدخل منه، فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ خير الخلق بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والتسليم وأعظمهم حماية وحراسة من الشيطان وقد أخلوا المكان الذي أمروا بلزومه يوم أحد، فدخل منه العدو فكان ما كان، وجماع هذه الثلاثة وعمودها تقوى الله تعالى، فلا ينفع الصبر ولا المصابرة ولا المرابطة إلا بالتقوى، ولا تقوم التقوى إلا على ساق الصبر... أهـ" (مدارج السالكين: 159/2، الجواب الكافي: 66/1، وفيض القدير للمناوي: 234/4).

تحصل لكم أيها الأحباب من هدايات هذه الآية أنّ المرابطة لا تنحصر في لزوم الثغور على تخوم دار الإسلام، بل تتعدّها إلى عالم المعنويات كما هو واضح من كلام الشيخ ابن القيم رحمة الله تعالى عليه. ومبيّن في حديث سيّدنا رسول الله ﷺ:-

{وَأَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ} الإمام مسلم رحمه الله تعالى (151/1).

الموضع الثاني:-

قال تعالى:-

{إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} [سورة الأنفال: 11].

وهذه الآية تنقلنا إلى أجواء غزوة بدر الكبرى، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في قوله ﷺ:-

{وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً}

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما:-

(نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ رَمْلَةٌ، وَغَلَبَهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمَاءِ فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ ظَمًا، وَجَعَلُوا يُصَلُّونَ مُحْدِثِينَ، وَأَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِهِمُ الْوَسْوَاسَةَ، يَقُولُ: تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَقَدْ غَلَبَكُمْ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمَاءِ وَأَنْتُمْ تُصَلُّونَ مُحْدِثِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَشَرِبُوا وَتَطَهَّرُوا، وَاشْتَدَّ الرَّمْلُ حِينَ أَصَابَهُ الْمَطَرُ، وَأَزَالَ اللَّهُ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَهُوَ وَسْوَاسُهُ حَيْثُ قَالَ: قَدْ غَلَبَكُمْ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمَاءِ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: رَجَزُ الشَّيْطَانِ: كَيْدُهُ، حَيْثُ أَوْقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ بِهِؤُلَاءِ الْقَوْمِ طَاقَةٌ ... اهـ) (زاد المسير: 328/3).

وما قيل هنا يقال عند قول الله تعالى في قصة أصحاب الكهف ﷺ:-

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ} [سورة الكهف: 14].

وعند قوله ﷺ حكاية عن أم موسى عليه الصلاة والسلام ورضي الله تعالى عنها:-

{إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة القصص: 10].

فمن هدايات هذا المبحث:-

1- أن الله ﷻ يجعل الأمن والطمأنينة في قلوب أوليائه بما شاء من أسباب، بالأمطار، والملائكة، والصالحين ... وغيرها.

2- وأن الشيطان له قابلية التأثير على القلوب إذا شاء الله تعالى ابتلاءً للعبد واختباراً له، ماذا يفعل؟

3- وأنه إذا تأثرت القلوب تظهر آثارها على الجوارح سلبيًا وإيجابًا:-

{وَلِيَرِّبْطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُنَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ}.

4- وبدلالة النصّ فالربط معنى من المعاني القلبية له أثره البالغ في الثبات.

فالمستفاد من هذه الآيات في موضوع الرابطة:

هو تلك العلاقة الوثيقة بين القلوب بالمعنى الروحي.

المبحث الثالث: الرابطة اصطلاحًا:

هي الإفادة من روحانية المرشد للتقوي على ذكر الله تعالى بإذنه عز وجل.

ولكي يكون التعريف واضحًا أشرح بعض مفرداته هنا بصيغة السؤال والجواب مستعينا بالكريم الوهاب عز وجل:-

س1/ هل يجوز أن نستفيد من مخلوق؟

ج/ قد يكون السؤال غريبًا، لأننا بالفطرة نعلم جواز ذلك فكلّ واحد يستفيد من الآخر.

قال تعالى:-

{أَمْ يَفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [سورة الزخرف: 32].

قال ابن كثير رحمه الله عز وجل في تفسير هذه الآية:-

"وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: {لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} قيل: معناه ليسخر بعضهم بعضًا في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره.

وقال قتادة والضحاك - رحمهما الله تعالى - ليملك بعضهم بعضا وهو راجع إلى الأول: ثم قال عز وجل:

{وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} أي رحمة الله بخلقه خير لهم ممّا بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة

الدنيا" (تفسير ابن كثير: 154/4).

وقال الشاعر:-

النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضْرٍ *** بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمَ

(موسوعة الرقائق والأدب: ص909)

فنحن نستفيد من المخلوقات بشكل عام سواء كانت المنفعة مادية أو معنوية، ولأن الله تعالى جعل الأصل في الأشياء الإباحة ثم استثنى أشياء فجعل حكمها التحريم أو الكراهة، فقال ﷺ:-

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ} [سورة سيدنا إبراهيم ﷺ: 32].

فما معنى التسخير إن لم نستفد من المسخر شيئاً؟ ثم قال تعالى:-

{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [سورة البقرة: 173].

وقال سيدنا رسول الله ﷺ:-

(إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قَيْلٌ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ) الإمام مسلم رحمه الله تعالى (130/5).

فالإفادة والاستفادة من المخلوقات مباحة ويمكن جعلها قربات إذا التزمنا بمنهج الله تعالى فيها، بأن كسبناها بالطرق الشرعية وحمدنا الله تعالى وشكرناه، وأدينا ما وجب علينا فيها من الحقوق ولسان حالنا يقول:-

{وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ...} [سورة النحل: 53].

س2/ ما المقصود بالروحانية؟

ج/ المقصود بها تلك الطاقة الروحية الخيرة التي يمنحها الله تعالى لعباده المؤمنين كلُّ حسب تقواه وقربه من مولاه جلّ في علاه، وأخذه بأسباب دنياه وأخراه.

وديننا العظيم جاءنا بثقافة روحية فذة أصابها الهزال في حياة الكثيرين - مع الأسف - بسبب انسياقهم وراء التيارات المادية التي روج لها الأشرار في كلِّ الأقطار، والمشتكى إلى الله الغفار.

س3/ هل نؤمن بالروح؟ ولماذا؟

ج/ نعم نؤمن بالروح على أنه خلق من خلق الله تعالى فيه طاقات وله آثار، فالروح مذكور في القرآن والسنة، قال تعالى:-

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة الإسراء: 85].

وقال ﷺ:-

{رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} [سورة غافر: 15].

وقال سيّدنا رسول الله ﷺ:-

(كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ) الإمام ابن أبي شيبه رحمه الله تعالى (329/7).

وقال ﷺ:-

(يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُمْ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَاقَةً) (العلاقة: القطعة من الدم الغليظ الجامد)، مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً (المضغة: القطعة من اللحم)، مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَقَالُ لَهُ: اكْتُبْ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ، وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ... الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه (259/8).

وكلمة الروح ذكرت في الشرع الشريف لمعانٍ عدة، أختارُ معنيين منها لعلاقتهما الوثيقة بموضوع
الرابطة:-

1- روح الإنسان:

قال ﷺ:-

{وَأِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَا مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [سورة الحجر: 28 - 29].

ويطيب لي أن أنقل بعض ما كتبه شيخنا الجليل الدكتور عبد الله مصطفى - طيب الله تعالى روحه وذكره
وثره - في كتابه (معالم الطريق):-

"الحياة كالمات هي في حقيقتها سرٌّ جعله الله تبارك وتعالى من أخفى الأسرار وجعل من ظواهرها
وأثارها ما هو من أجلي البديهيّات، أنت حيّ تسمع وتبصر وتشمّ وتلمس وتذوق وتأكّل وتعمل وتسعى
وتتحرك، ثمّ إذا نظرت إلى جثمان إنسان قد مات رأيتَه قد فقد تلكم السمّات الظاهرات وانقلب جسداً ليس
يوجد فيه حياة كلوح من خشب أو مرمر آيل إلى تراب أو رفات، فإن كنت لم تر قط ميئاً فاجتهد أن
تري، فليس من رأى كمن سمع وإن كان السماع كما هنا بالعينين. سرّ الحياة وباعثها هو الروح، وسرّ
المات انقطاع الروح عن البدن، فأيّ شيء هو الروح في حدّ ذاته يا ترى؟

إننا نستطيع أن نعرفه بخاصته وقواه وأثاره، وإن كنا لا نملك تحليل ذاته إلى مركبات - لأنّه بسيط وليس
من المركبات أصلاً - أعلمنا بالروح خالق الروح في كتابه المجيد إذ قال:-

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة الإسراء: 85]

هذا جواب تامّ وليس منعاً من الجواب كما يتوهم بعض الناس. فإنّ الله - جلّت قدرته - يخلق على أنواع
 وأنماط، يخلق على نمط سلسلة طويلة من الأسباب والمسببات، ويخلق خلقاً مباشراً تنعدم فيه السلسلة
 الطويلة.

المخلوق على أوّل النمطين كقرص الخبز الذي تأكله وتتغذى منه: فمن حراثة الأرض وذر البذرة، وسقي الماء وتعاقب الإشعاعات والأضواء ثمّ الحصاد والتنقيح والطحن وعمل الخبز إلى وضعه أمامك تأكله كم من سبب وسبب ممّا ذكرنا وممّا لم نذكر؟! وعمر الحق لا نحصي حلقات السلسلة في خلق الخبز وحده في كتاب في حجم الذي بين يديك فكيف في سلاسل الخلق لسائر المخلوقات! أمّا المخلوق على النمط الثاني فقريب العهد بالخالق من حيث انعدام السلسلة، ويعبر عنه ربّ العالمين بالإضافة إلى ذاته - جلّ جلاله وعمّ نواله :-

{قَادَا سَوِيَّتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [سورة الحجر: 29]

{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [سورة السجدة: 9]

و {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ...} وهي الآية المتلوة بتمامها آنفًا التي تمّ فيها جواب السؤال ببيان خاصة الروح المميزة إيّاه وهي كونه من عالم الأمر، أي من عالم النمط الثاني.

وتعريف الشيء بذكر خاصّته المميّزة أدقّ من التعريف بأعراضه العامة، وقد علمت قبل قليل أنّ الروح بسيط وليس من المركبات حتى يعرف بذكر عناصر التركيب.

ها نحن علمنا خاصة الروح وعلمنا آنفًا الظواهر البديهية من قواه الضعيفة المألوفة في جسم الإنسان كالسمع والبصر، وسنعلم في الفصل الخامس عشر قواه القوية وتفصيل آثارها، هذه ثلاث قوى عظيمة وهي: "الفكر- والقلب - والنفس"، لها صنوف من التأثير الداخلي والتأثير الخارجي، أي التأثير المتبادل بينهما في ذات الإنسان الفرد عينه، والتأثير المتعدي إلى آخرين من بني الإنسان.

والقلب والفكر قوتان جليلتان تتمّ بهما جلائل الأعمال على ما سوف يأتي في الفصل الخامس عشر - إن شاء الله تعالى - وسنذكر آثار النفس السيئة في الفصل الثامن المخصوص بكشف علماء السوء وأعمال التخريب. فيكفي هنا أن نصوّر لك صورة مختزلة لبعض هذه التأثيرات.

يوجّه إنسان قوّة الإرادة صوب هوى النفس الأمّارة بالسوء في مجال الفكر وفي مجال الشهوات فيترجح عنده الكفر على الإيمان والضلالة على الهداية والانهماك في ملذات البطن والفرج حيثما أتت، والأثرة

في هذه وإن كانت السبل إليها جرائم في حق أشخاص آخرين أو في حق المجتمع، ويوجّه إنسان قوّة الإرادة نحو تقوى القلب فيترجح عنده الإيمان على الكفر والهداية على الضلال والاعتدال في الملاذ والإيثار على الأثرة، ومن ثمّ نفع الآخرين فرادى أو جماعات وإذا شئت فاقراً قوله تعالى:-

{فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٤٢﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٤٣﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٤٤﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٤٥﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤٦﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٧﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤٨﴾ [سورة النازعات: 34 - 41].

هذا هو روح الإنسان وهذه قواه، وتتفاوت الأرواح بمراتب قواها كما تجدها تتفاوت في قوّة الفكر والاستعداد لتلقي العلوم، وإذا كان الناس هكذا بأرواحهم فكيف بأرواح الأنبياء والرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - ثمّ كيف بالروح العظيم الذي اختير لختم النبوة والرسالات! علّمنا لا يستطيع يبلغ مبلغ الكشف عن مرتبته، فكشفها ربّه الذي خلقه وأولاه منزلته وأمرنا بإتباعه في كلّ شيء وبأن:-

{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...} [سورة النساء: 80]

فلنتدبر هذه الآيات من ربّ العالمين:-

{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿١٠﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿١١﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿١٢﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿١٣﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿١٤﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿١٥﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿١٦﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٧﴾ [سورة النجم: 3 - 10]

{وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٨﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٩﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿٢٠﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿٢١﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿٢٢﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ [سورة النجم: 13 - 18].

يا لعظمة هذا الروح! يعرج إلى سدرة المنتهى ويرى الكبرى من آيات ربّه ثمّ لا يزيغ منه البصر ولا يطغى - ولكمّ زاغت أبصار أو طغت في مقامات دون هذا المقام - بأبي أنت وأمّي يا خاتم الأنبياء والمرسلين، صلّى الله عليك وعلى آلك وأصحابك والمهتدين بهديك إلى يوم الدين.

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتِ مَنْزِلَةً *** مِنْ "قَابِ قَوْسَيْنِ" لَمْ تُدْرِكِ وَلَمْ تُرْمِ

(ديوان البوصيري: 247/1، ومعالم الطريق: ص55-58).

فروح الإنسان لها آثارها الظاهرة والخفية وأتمنى لكل إنسان يحترم إنسانيته أن يكون له تطلع للثقافة الروحية ويأخذ نصيباً وافراً منها، ومن وفق لذلك فعليه قراءة المباحث المخصوصة بعجائب القلب وصفاته ومنجياته ومهلكاته في الجزء الثالث من كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي، ولآثار الروح بعد مبارحة الجسد كتاب "الروح" للشيخ ابن قيم الجوزية، ومعالم الطريق لشيخنا العلامة أستاذ الجيل حضرة الدكتور عبد الله مصطفى رحمهم الله تعالى.

2- بصيرة القلب:-

قال رحمته الله:-

{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }

[سورة المجادلة: 22]

البصيرة نور يقذفه الله تعالى في القلب، ومن ثم فسّر قوله رحمته الله:-

{ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ } : أي بنور القلب، قاله جمهور المفسرين رحمته الله. (ينظر تفسير أبي السعود: 15/7، وتفسير النسفي:

16/1، وتفسير روح المعاني: 84/20).

وهاكم ما قاله الإمام الطبري - رحمه الله تعالى -:-

{ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ } "أي قواهم ببرهان منه ونور وهدى" (جامع البيان في تأويل القرآن: 258/23).

وقال الإمام الألوسي - رحمه الله تعالى -:-

{وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ} "أي: من عنده **عَلَيْهِ** على أن "من" ابتدائية، والمراد بالروح نور القلب وهو نور يقذفه الله تعالى في قلب مَنْ يشاء من عباده تحصل به الطمأنينة والعروج على معارج التحقيق، وتسميته روحًا مجاز مرسل لآته سبب الحياة الطيبة الأبدية" (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 36/28).

وقال الأستاذ سيّد قطب - رحمه الله تعالى -:-

{وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ} "وما يمكن أن يعزموا هذه العزمة إلا بروح من الله، وما يمكن أن تشرق قلوبهم بهذا النور إلا بهذا الروح الذي يمدّهم بالقوّة والإشراف ويصلهم بمصدر القوة والإشراق" (في ظلال القرآن: 155/7).

س4/ كم هي الطاقات الروحية؟

ج/ أوصلها بعضهم إلى ما يقرب من عشر، ولكن الراسخ في علم الروح، والمجتهد في كتاب الملك القدوس وسنة سيّد الخلق حبيب القلوب والنفوس **عَلَيْهِ**، سيّدي وقرّة عيني الذي ما ذقت حلاوة الإيمان إلا على يديه المباركتين العلامة الدكتور عبد الله مصطفى - طيّب الله تعالى روحه وذكره وثره - حصرها في ثلاث قوى متميزات فقال **عَلَيْهِ** في كتابه الفريد الموسوم بـ "معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي": هذه القوى ثلاث: الفكر، والنفس، والقلب، والثلاث القوى متميزات ومتفاعلات في واقع الأمر على ما سنرى.

- **الفكر**: قوّة روحانية بها يدرك الروح ويعلم ويتأمّل ويعقل ويفهم ويتخيّل ويتذكّر ويستنتج.

ومظهر ارتباطها بالجسد الترابي هو الدماغ وفي آيات عديدة من الكتاب المجيد وردت مشتقات "الفكر" الفعلية للدلالة القطعية على وجود الفكر والمفكر ولمعان أخرى منها:

أ- التأمّل والتدبّر، كما في قوله تعالى:-

{ذَرْنِي وَمَنْ حَقَّبْتَ وَحِيدًا **عَلَيْهِ** وَجَعَلْتَ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا **عَلَيْهِ** وَبَيْنَ شُهُودًا **عَلَيْهِ** وَمَهَّدْتَ لَهُ تَمْهِيدًا **عَلَيْهِ** ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ **عَلَيْهِ** كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا **عَلَيْهِ** سَأُزِقُّهُ صَعُودًا **عَلَيْهِ** إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ **عَلَيْهِ** فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ **عَلَيْهِ**

ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ ﴿١١﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿١٤﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿١٥﴾
إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ { [سورة المدثر: 11 - 25].

ب- العلم بالشيء، كما في قوله تعالى:-

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا
بصاحبهم من جنّة إن هو إلا نذيرٌ مبينٌ} [سورة الأعراف: 182 - 184].

ج- التفكير والاستنتاج، كما في قوله تعالى:-

{أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا
مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} [سورة الروم: 8].

د- التعقل، كما في قوله تعالى:-

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [سورة الروم: 21].

هـ - التذكّر والتخيّل، كما في قوله تعالى:-

{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا
أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا
كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [سورة سجدنا بونس ﷻ: 24].

- **النفس**: هي القوة الدافعة إلى الشهوات والأمارة بالسوء، ومظهر ارتباطها بالجسد غدة في الثالث من
تجاويف الدماغ قبالة ما بين العينين من الجبهة تقريبًا، والغدة قابلة للتكلس المادي دون أن تكون قد ماتت
بعد، وقد وردت "النفس" في القرآن المجيد كثيرًا.

للإعجاز البلاغي في القرآن الكريم أساليب كثيرة جدًّا، منها استعمال كلمة واحدة للدلالة على معاني
متعددة يتعيّن من بينها المعنى في أيّما نصّ مشتمل على الكلمة تعيّنًا محققًا بسياق النصّ ومقتضى الحال

البياني المدرك منه، وإن من هذه لفظة "النفس" هذه التي تقدّم في الذكر معناها المراد بالتعريف ثم نشير إلى مواضع معانيها الأخرى:-

{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} [سورة النازعات: 40-41].

{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَأْسُنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا
وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ} [سورة المائدة: 70].

{... أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [سورة البقرة: 87].

{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سورة المائدة: 30].

{إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى
الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ} [سورة النجم: 23].

{وَمَا أَبرَىٰ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [سورة سيدنا يوسف عليه السلام:
53].

{وَجَاؤُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا
تَصِفُونَ} [سورة سيدنا يوسف عليه السلام: 18].

تلك هي النفس التي تهوى السوء وتأمّر بالسيئات.

وفي اسم النفس اشتراك معان كما قلنا، أريد به ذات القدوس الرحمن الرحيم:-

{وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا
بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [سورة الأنعام: 54].

واستعمل بمعنى شخص الإنسان الفرد:-

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...} [سورة النساء: 1].

وبمعنى الفكر والقلب:-

{وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ} [سورة البقرة: 284].

وأيضاً في معنى "الروح" ذاته:-

{يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ [سورة الفجر: 27 - 28]

ومرادنا هنا ما في السبع الآيات المتلوات.

- **القلب:** قوة روحانية لطيفة ذات مرّة لها الإرادة ولها التأثير البالغ في القوتين الأخريين وأيضاً تختص بمعقولات لا تصلها القوتان الأخريان، ومظهر ارتباطها بجسد الإنسان هو العضو الصنوبري الجسماني الموجود في تجويف الصدر المسمّى باسم "القلب" عينه.

والقلب لطيفه الروحاني وكثيفه الجسماني يمدّان أعضاء البدن جميعها بالحياة والغذاء، حتى إذا توقفا عن الإمداد انتهت حياة الإنسان الدنيا ومات الكثيف منهما وماتت خلايا الجسد، وانتقل اللطيف إلى العالم الآخر ملازماً أصل الروح خالداً في العالم الجديد إمّا إلى نار وإمّا جنّة.

قد كثر في التنزيل ذكر القلب اللطيف كثرة مشعرة بمنزلته العلية بين سائر قوى الروح، وقد أحصينا الآيات فيها اسم القلب فبلغت إحدى وثلاثين ومائة، بيد أنّ معناه قد ذكر في التنزيل باسم الفؤاد واللب أيضاً، حتى كأنّ القلب هو الروح عينه، فإن لم يكنه فهو أعظم قواه، فلنقرأ من الآيات البيّنات التي ترينا من أحوال القلب خيره وشره:-

{وَأِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} [سورة الشعراء:

192-194].

{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [سورة التغابن: 11].

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة
المجادلة: 22].

{وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي
قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ} [سورة الحجرات: 7 - 8].

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنَابِ ﴿٨﴾ الَّذِينَ
آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [سورة الرعد: 27 - 28].

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن
قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} [سورة الحديد: 16].

والقوى الثلاث: "النفس، والفكر، والقلب" متفاعلة فيما بينها يؤثر بعضها في بعض، وإن كان للقلب
تأثير أتم وسلطان أعظم لأنه منبع الإرادة والقرار الفعّال، وإنما يستقيم له هذا السلطان إذا كان الوحي
له ظهيراً وإياه هادياً، فإن شذَّ عن الوحي أو انحرف غلبه فكر منحرف لا محالة، وساقته النفس الأمّارة
بالسوء إلى كلّ عمل ظاهر أو باطن فيه انقطاع القلب فمساءة الروح، وإذا شئت فعد إلى قراءة الآيات
المتلوة آنفاً ثم اقرأ بعدها هذه الآيات:-

{لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا
يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} [سورة التوبة: 44 -
45].

{فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِّيقَاتُهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ
وَلَا تَرَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة المائدة:
13].

{أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ} [سورة الزمر: 22].

وعلى الجملة إذا انساق الإنسان مع النفس الأمّارة إلى الكبائر والسيئات غلبته على فكره وقلبه بتراكب تلكم الآثام، وإذا انساق مع أفكار ضالة عن نهج الهداية الربانية غلبه الفكر الضال على قلبه فأمسى كالحجارة بل هو أشدّ قسوة، أما مَنْ آمن قلبه واتقى وصدّق بالحسنى فذلك الذي يسّر الله روحه لليسرى ووقفه لخير الآخرة والأولى، ولنا في الجزء الثلاثين من القرآن المجيد سور عديدة توضح بأساليب مفيدة أوجه الهداية والضلال والعلاقة بين القلوب والأفكار والأعمال.

ومن القرآن إلى السنّة، حديث عظيم الموقع أخرجهُ أئمة الحديث البخاري ومسلم والترمذي بطرق متعددة كلّها عن عامر الشعبي والبخاري بسند أعلى فيه بينه وبين رسول الله ﷺ أربعة رواة، فوجدناه من رباعيات البخاري فأثرناه هنا سنداً ومتمّناً: "حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا زكريا عن عامر، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:-

(الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ. فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه (56/1)

قلنا في سند الحديث إنّه من الرباعيات، وفي متنه يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى:-

(أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث، وكثرة فوائده وصحته، قال الشافعي وآخرون: هو ثلث الإسلام، وقال الشافعي: يدخل في سبعين باباً من الفقه، وقال آخرون: هو ربع الإسلام، وقال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: ينبغي لمن صنّف كتاباً أن يبدأ فيه بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النيّة. ونقل الخطابي هذا عن الأئمة مطلقاً، وقد فعل ذلك البخاري وغيره، فابتدأوا به قبل كلّ شيء، وذكره البخاري في سبعة مواضع من كتابه) شرح النووي على مسلم (53/13).

ثمّ انظر - أيّها الرفيق القارئ - إلى لطف التصريح والتلميح في كلام خاتم النبيين -صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين - وكيف نبّه على إرادة اللطيف والكثيف معاً من القلب في نصّ واحد، السياق ومقتضى الحال واضحان في إرادة اللطيف من لفظ القلب إذ المقام مقام الورع والتقوى، فلما أراد الشارع الجليل

التلميح إلى أنّ الكثيف أيضاً مقصود بالنصّ استعمل لفظ "مضغة" الدالة عليه ثمّ قال "ألا وهي القلب" للدلالة عليهما معاً، وبيان أنّ الكثيف الجسماني هو مظهر اللطيف الروحاني فهو عرش الروح، هذا الممنوح هذه القوة الفائقة والمخاطب من ثمّة بأحكام ربّ العالمين خالق الكلّ وقيوم الكلّ - جلّ جلاله وعمّ نواله - وفي هذا المقام ذهب الأسلاف الكرام علماء الإسلام مذهبين في مستقرّ العقل، فمن علماء الحديث المجتهدين من ذهب إلى أنّ العقل في الدماغ كالإمام أبي حنيفة رحمته الله.

ومنهم من ذهبوا إلى أنّ العقل في القلب لا في الرأس، محتجين بهذا الحديث الشريف، وبقوله تعالى:-

{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا --- } [سورة الحج: 46]

و { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [سورة ق: 37].

وهذا هو ما ذهب إليه العلماء الشافعيون ومنهم الشيخ العلامة يحيى النووي، الذي ذكر المنحيين في الموضوع الذي أسلفنا الإشارة إليه من شرحه لصحيح الإمام مسلم. أمّا المتكلمون فجمهورهم في هذا على اختيار القلب، وفيهم من اختار الرأس وفقاً لأبي حنيفة رحمته الله والأطباء. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 306/2).

وإنّا بفضل الله وحسن توفيقه ذاهبون في هذه المسألة مذهباً موحداً بين المذهبين السالفين، فنقول: بأنّ الحقّ والصدق هو ما وضّحه سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله من أنّ القلب بروحانيه المصرّح به في النصّ وجسمانيه الملمح إليه فيه هو مرجع الصلاح والفساد في جسد الإنسان كلّه، إذ ليس بعد مقال الرسول صلى الله عليه وآله من حكم إلّا ما يوافقّه: "أفلا ترى إلى القلب متى فسد فسدت أعضاء الجسم فارتكبت المفاسد والمحرمات"، وبأنّ المذهبين السالفين كلاهما راجع إلى الصّحة وموافقة النصّ دونما تعارض بينهما إذا دقّقنا المسألة على مزيد من علم وتحقيق.

لقد بيّنا قبل ورقات أنّ مظهر الفكر هو الدماغ، وأنّ العقل من الفكر، وهما راجعان إلى العلم، وقد سبق أنّ بيّنا في مباحث العلم "في الفصل الخامس" أنّ حقيقة العلم حاصله بنبض كهرومغناطيسي يحصل في الدماغ، ولنعلم الآن أنّ القلب هو المولّد الذي ينتج منه ذلك النبض الكهرومغناطيسي وكلّ القوى

الكهربائية الأخرى الموجودة في جسم الإنسان، وهو أيضاً الذي ينتج قوّة كهربائية خفيفة في داخل نفسه لتنظيم نبضاته، حتى إذا اختلّت درجة قوّتها المعينة زيادة أو نقصاناً اختلّ نظام نبضات القلب ذاته اختلالاً مشعراً بممات الجسد آخر الأمر.

وهذه الأخيرة قد أصبحت اليوم معروفة في علم الطب، وأصبح اختلالها يعالج معالجة جراحية بمد رأس سلك إلى داخل القلب الكثيف مربوطة نهايته الأخرى بنضيدة كهرباء جدّ صغيرة تخبأ تحت جلد المريض في موضع ملائم من جسده، وهذا وجه من أوجه التمايز بين قوتيّ الفكر والقلب من قوى الروح الثلاث التي بيّناها آنفاً، ومن هاهنا ما أسلفناه من التفاعل بين هذه القوى ومن أنّ القلب اللطيف هو صاحب السلطان الأعظم والتأثير بين قوى الروح، وهكذا يصحّ قول القائل بأنّ العقل في الرأس، كما يصحّ قول القائل بأنّه في القلب، الأوّل باعتبار المظهر المحسوس به، والثاني باعتبار المكنن المؤثر، ومثل الفريقين كمثّل اثنين يدخلان غرفة مضاءة بمصباح كهربائي وأحدهما يفقد ثقافة الكهرباء والآخر يجدها: فأولهما يعزو الإضاءة إلى المصباح، والثاني إلى تيار الكهرباء عبر الأسلاك، وكلاهما مصيب عند ذلك.

كلّ ذلك ونحن في مجال بعض وظائف الأعضاء في جسم الإنسان، وبعض القوى الكهربائية، وبعض علاقاتهما بقوى الروح، فأما الأمر الأدقّ من هذه كلّها في صلة الروح صاحب القوى الثلاث بمكونات جسد الإنسان كلها من "الذرات" و "الدوريات" فارجع للعلم به إلى المبحث التاسع من كتاب "الرفيق الأعلى" حيث الكلام في مجال الفيزياء النووية.

وتأمّل بعد ذلك كلّه في الحكمة وفصل الخطاب عند خاتم النبيين كما وجدنا في حديثه الشريف المستنار به هاهنا، علومه وحي فلا يحتاج هو فيها إلى فسلفة وفيزياء ولا إلى تجميع مقدمات وآراء، ثمّ ارجع الفكر كرتين في حديثه الشريف تستزد من فوائده أنّه ﷺ رمى إلى الورع والتقوى باجتناّب جمى الله وتعظيم شعائره، ومنّ يتق ويعظّم شعائر الله فذلك من تقوى القلوب، وأتى لي أن أجمع في هذا الكتاب جميع المحارم والشعائر!

قد عرضنا منها في الفصل السابق وسائر الفصول، وإذا الرفيق القارئ استزاد مزيداً فله الإفاضة في جوامع السنن، ولا سيما أبواب البرِّ وأبواب الرقائق، حيث أنوار الورع والتقوى والإيمان ومصابيح الهداية إلى جنتين ذواتي أفنان. لكني أملك هنا أن أقدم إليه صورة من صور الورع عند المؤمنين والمؤمنات صدقاً، وهذه في قصّة جدّ قصيرة ذكرها العلامة القسطلاني في شرحه لصحيح الإمام البخاري، (285/1)، والرسالة القشيرية: (53/1)، ذهبت مسلمة إلى الإمام أحمد ابن حنبل تستفتيه في واقعة شرعية فقالت له: (إِنَّا نَعَزُّ عَلَى سَطُوحِنَا -لَيْلًا- فَيَمُرُّ بِنَا مَشَاعِلُ الظَّاهِرِيَّةِ -أَي قَوَافِلُ الرِّكَائِبِ حَامِلَاتِ الأَنْقَالِ- وَيَقَعُ الشُّعَاعُ عَلَيْنَا، أَفِيَجُوزُ لَنَا العَزْلُ فِي شُعَاعِهَا؟ فَقَالَ لَهَا الإمامُ أَحْمَدُ: مَنْ أَنْتِ عَافَاكَ اللهُ؟ قَالَتْ: أَخْتُ بَشْرِ الحَافِي، فَبَكَى الإمامُ وَقَالَ: مَنْ بَيَّنَّكُمْ يَخْرُجُ الوَرَعُ الصَّادِقُ، لَا تَعَزِّلِي فِي شُعَاعِهَا) الإمام الترمذي رحمه الله تعالى (634/4).

حدثنا أبو بكر بن أبي النضر، حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو عقيل الثقفي عبد الله بن عقيل، حدثنا عبد الله بن زيد، حدثني ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدي وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:-

(لَا يَبْلُغُ العَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذْرًا لِمَا بِهِ البَأْسُ) الإمام الترمذي رحمه الله جلّ وعلا (634/4).

لينظر الإنسان، إذن في شأن روحه مع القوى الثلاث، وفي أمر معاشه هنا ومحياه في دار المقام، وفي الطريق الذي مهّده سيّد الأنام إلى رياض الجنّة ولقاء الملك العلام: {وَمَنْ يُطِيعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [سورة النور: 52].

فحقّ النفس الأمّارة: أن يُكبح جماحها، وتُكسر سيوفها ورماحها، وتُصدّ عن الجوارح والفكر والقلب رياحها، وتقهر حتى ينقطع خداعها وجراحها، وتطوّع كيما يستوي مسراها وغدوها ورواحها، ثم يُهدى إليها استقرارها وأمانها وفلاحها.

وعندئذ فهي النفس المزكاة مريدة القلب في أمره والإشارات، وقد اخترت هذه الجمل القصيرات المسجعات خاتمة لما في هذا الكتاب عن -النفس- من مقالات مفردات أو مجمعات، مع هذين البيتين الجميلين من الشعر التصويري للإمام القدوة البوصيري:-

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى *** حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّمَهُ يَنْفَطِمِ

فَلَا تَرُمُ بِالمَعَاصِي كَسَرَ شَهْوَتَيْهَا *** إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ

(ديوان البوصيري: 238/1).

وحقّ الفكر: أن يستعلم كلّ معرفة هي فرض عين، ثمّ كلّ ما أمكن من فروض الكفاية، ثمّ ما تيسر من النوافل والمبرآت والقربات، وأنّ يتجه في العلم والعمل إلى الضروريات للحياة، ومنها إلى الحاجيات ثمّ من هذه إلى التحسينات، - وقد مرّ علينا كثير من هذه المعاني في فصول الركنين الأول والثاني -، وأنّ يصبح للقلب خير معين ورفيق يساوقه ويواكبه ويحاوره، ويستعين به ويعاونه، ويتجه معه إلى كلّ ما يحيي الفؤاد ويرضي ربّ العباد.

حقّ القلب: أن يتجه إلى الغاية المثلى والمقصد الأسنى لروح الإنسان، وأنّ يقود الفكر إلى زكاء الأبدان والجنان، وأنّ يعرج مع الروح إلى عالم القدس وبهجة الرضوان، ولهذا خصّصنا القلب بجلّ ما في هذا الفصل الأخير من علم وبيان.

ثمّ المستخلص ممّا تقدّم كلّهُ أنّ قوّة النفس وقوّة الفكر لا تستغنيان عن قوّة القلب، وأنّ قوّة القلب قد تنفرد عنهما بمعارف وأعمال.

وربما لقبّت قوّة القلب - بالحاسة السادسة -، وجرى إلى ذكرها والحديث عنها أتباع الحضارة الأوربية الحديثة، ولا سيما بعد ما اشتهر أنّ الحاسة السادسة هي من مكتشفات علماء هذه الحضارة المتخصصين في علم النفس وعلم الروح، والتابع قد يغفل عمّا يعلم متبوعه، وقد يجهل ما يخفي المتبوع ابتغاء الدجل في العرفان، أمّا نحن فنعلم أنّ أخصّ خصائص الحضارة الأوربية المعاصرة هو الدجل، والحاسة السادسة لم تسلم من هذا الدجل، أوّل عالم لقب هذه القوة الروحانية - بالحاسة السادسة - هو الإمام الهمام

حجة الإسلام أبو حامد الغزالي - ت 505 هـ، أي قبل أن تنبثق الحضارة الحديثة وتنهض، إذا شئت فارجع إلى (إحياء علوم الدين: 363/4 - 364)

بل كانت علوم الفيلسوف الغزالي وعلوم خَلْفِهِ ابن رشد الحفيد وكتبهما الكثيرة هي المعين الصافي الصحاح الذي منها استقيت المعارف التي نهضت عليها الحضارة الجاحدة، وليس في هذا الشأن هنا متسع لتفصيل، فإذا أحببت فراجع مقدمة كتابنا "الرفيق الأعلى"، أو الفصول الأخيرة من "الحرية الجامعية".

المهم إننا عرفنا الثلاث القوى بالأدلة الثابتة، وتوصلنا إلى أن القلب قوة برأسها من قوى الروح، فلم يعد بنا حاجة إلى اعتبارها حاسّة، ولا إلى تلقيها بالسادسة كما رأيت، ولست في قلبي هذا معارضا للغزالي الإمام ولا آخرين من الأئمة الأعلام هداة الأنام بالإسلام، فهو شيعي في سلسلة الإجازة العامّة في علوم الكتاب والسنة، وهم جميعاً أسلافنا الذين بنوا الصروح والشرفات العوالي وعلى مراقبيهم سعدنا نحن إلى العلاللي، وإنّما أنا بعض الغابطين، كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله في "نهج البردة"، مخاطباً الرسول ﷺ في شأن الإمام البوصيري وبردته:-

مَدِيحُهُ فِيكَ حُبٌّ خَالِصٌ وَهَوَىٌ *** وَصَادِقُ الْحُبِّ يُمْلِي صَادِقَ الْكَلِمِ

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَا أَعَارِضُهُ *** مَنْ ذَا يُعَارِضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْعَرِمِ

وَإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ الْغَابِطِينَ وَمَنْ *** يَغْبِطُ وَلِيَّكَ لَا يُذَمُّ وَلَا يُلَمُّ

(موسوعة الشعر الإسلامي: 560/7).

الفصل الثاني

تعريف المرشد

وبيان بعض خصائص الروح

- وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف المرشد

المبحث الثاني: بعض خصائص الروح

قلت في تعريف الرابطة اصطلاحًا: "هي الإفادة من روحانية المرشد للتقوي على ذكر الله تعالى بإذنه ﷺ".

س1: من هو المرشد؟

ج: هو الشيخ الكامل الموصول السند بسيّدنا محمد ﷺ من الناحية الروحية والعلمية، ولفظ - المرشد - ورد في قول الله ﷻ:-

{ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرَشِدًا } [سورة الكهف: 17]

قال الشيخ سعيد حوى - رحمه الله تعالى :-

"والآية دلّت على أنّ أعظم الهداة هم الأولياء المرشدون: { وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرَشِدًا } بين أنّ هؤلاء - أي أصحاب الكهف رضي الله عنهم وعنكم - هم الغاية في الهداية، فمن أراد الله إضلاله لأتته سلك سبل الضلال مثل الظلم والفسق، قال تعالى: { وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [سورة البقرة: 258]

وقال أيضًا: { وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ } [سورة المائدة: 108]

قال: فمن أراد الله إضلاله فإنه لا يهديه أحد حتى ولو كان وليًا مرشدًا، نسأله تعالى أن يجعلنا من الأولياء المرشدين" (الأساس في التفسير: 3169/6)

س2: هل يصح إطلاق لفظ الكامل على المخلوق؟ وما يراد به؟

"الكامل": يراد به الكمال المقدور للإنسان في مجال التقوى والإيمان والإحسان، قال حبيبنا المصطفى العدنان ﷺ:-

{ أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطِنُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ } (الإمام الطبراني رحمه الله تعالى في المعجم الصغير (236/1)).

وقال ﷺ:-

(حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَحَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ، وَقَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَأَسِيَّةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ) الإمام الترمذي رحمه الله سبحانه (703/5).

ولا يراد به الكمال المطلق لأنّ هذا لا يكون إلاّ الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد جلّ جلاله وعمّ نواله.

س3: ما هي أهم صفات المرشد؟

ج: من صفات المرشدين ﷺ إضافة إلى ما ذُكر: التأثير الروحي بإذن الله تعالى، وسلامة الصدور، ومحبة الهداية للناس أجمعين مع البُعد التامّ عن الأهواء والمعاصي والذنوب إلاّ ما كُتِبَ على ابن آدم، فإنّي لا أدعي العصمة لغير الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والتسليم -، قال تعالى:-

{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [سورة آل عمران عليهم السلام: 133 - 136]

فانظروا رحمكم الله تعالى كيف وصف المتقين باحتمال وقوعهم في المعاصي ولكنهم سرعان ما يتوبون ويذكرون.

ولحديث:-

(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَحَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ) الإمام الترمذي رحمه الله جلّ وعلا (659/4).

فالمرشدون ﷺ هم ورّاث الحبيب محمد ﷺ وراثته نسبية تنسجم مع مقام الولاية، ثم يتفاضلون فيما بينهم حسب مجاهداتهم وفضل الله تعالى عليهم، فهم درجات عند الله تعالى، ولا أثبت الوراثة التامة التي

تجعلهم في مصاف الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والتسليم - لأن النبوة اصطفاء واختيار، قال تعالى:-

{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [سورة الحج: 75]

وقال أيضا:-

{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [سورة سيدنا يوسف عليه السلام: 6].

بينما الولاية اجتهاد وكسب ثم قبل ذلك وبعده فضل من الله تعالى وعطاء، قال عليه السلام:-

{وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [سورة النحل: 53]

وقال أيضا:-

{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سورة سيدنا يونس عليه السلام: 62 - 64]

وقال عليه السلام:-

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [سورة البقرة:

269]

وقال تعالى:-

{وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [سورة البقرة: 105]

والوراثة النبوية في هذه الأمة وظيفة نيابية هي من مقتضيات ختم النبوة، قال عليه السلام:-

{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [سورة

الأحزاب: 40].

فهذه هي أمة الإسناد يقف عالمها ومرشدها بكل قوة وثبات يحدث عن نبيه ﷺ بالسند الموصول، ويتوجه بنور قلبه الذاكر المطمئن، قال ﷺ:-

{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [سورة الرعد: 28]

ليشيع في أفكار محبيه الذين عاهدوه على طاعة الله تعالى في السر والعلن قدر المستطاع، أقول ليشيع في أفكارهم الإصلاح والتدرب على أعمال الروح بأنواعها ومنها ذكر الله تعالى، فالذكر في أصله عبادة روحية مبنية على التذكر، قال الشاعر:-

اذكُرُونَا مِثْلَ ذِكْرَانَا لَكُمْ *** رَبِّ ذِكْرِي قَرَّبْتِ مَنْ بَعْدَا

(خزانة الأدب: 429/1)

فالروح التي تستمد من الطاقات الفائقة من روحانية المرشد أقدر على ذكر الله ﷻ؛ لأنها سقيت بماء الحكمة وقويت بأنوار المعرفة، وفي كل الأحوال الله ﷻ: هو الفاعل ولا يحصل شيء إلا بإذنه تعالى، قال عز من قائل:-

{وَأذْكَرَ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} [سورة الأعراف: 205].

ولمزيد من أحكام الذكر أنصح بالتشرف بكتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله تعالى، فقد سمعت المشايخ الذين تشرفت بهم يقولون في تقريره:-

"بع الدار واشتر الأذكار" (أبجد العلوم: 47/2)

وكتاب شيخنا - رحمه الله تعالى - "معالم الطريق" الذي اقتبست منه كثيرًا في ثنايا هذا البحث.

قال ﷺ:-

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سورة الجمعة: 2].

فالوظائف المذكورة في هذه الآية الكريمة ومثيلاتها توارثها المرشدون كابرًا عن كابر من حبيبيهم سيّدنا رسول الله ﷺ.

فالمرشد إذا عبدُ تقرب من الله تعالى بصدق النية وعلو الهمة وكثرة الطاعات، تحت رعاية مرشده وشيخه الموجّه الفائق، فتضاعفت طاقاته الروحية، وتحقق في المعاني الإيمانية، وتدرج في العروج إلى مقامات القرب من ربّ البرية، فكان وارثًا حقًا لسيّد الخلق وحبیب الحق ﷺ.

قال ﷺ:-

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة العنكبوت: 69]

وقال ﷺ:-

{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [سورة سيّدنا محمد ﷺ: 17].

وقال ﷺ:-

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعَئَهُ) الإمام البخاري رحمه الباري عزّ شأنه (105/8).

وقال ﷺ:-

(المجاهدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ) الإمام أحمد رحمه الله جلّ وعلا (20/6)

فهذا هو الذي هُدينا إليه وندعو الله تعالى قائلين:-

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [سورة آل عمران عليهم السلام:

.8]

وما أجمل في هذا المقام أن نتشرّف بهدايات مستنبطة من كتاب الله - العليم العلام - وسنة خاتم النبيين ﷺ سطرها شيخنا وأستاذ جيلنا الهمام - طيب الله روحه وذكره وثره - في كتابه "معالم الطريق" فقال ﷺ تحت عنوان:-

"التعلم والإرشاد"

من الأمثال السائرة: "العلم بالتعلم"، وهو قول حق شريف أساسه الكتاب المجيد وحديث من تراجم الإمام البخاري (القسطاني: 317/1)، قال تعالى:-

{الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٥﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [سورة العلق: 4 - 5]

خلق ربّ العالمين - جلّت قدرته - لكلّ عالم من عوالمه الكثيرة قوانين وسننًا، وهذه حياة الإنسان الدنيا وعالمه على أرضنا، القوانين والسنن التي نعلم ونعرف منها ونشاهد ونطبق: قوانين الوسائل والغايات والأسباب والمسببات، منها ما لنا عليه قدرة وما ليس لنا عليه شيء من القدرات، ووسيلة استحصال العلم هي التلمذة والتعلم والأستاذ والتعليم، الشأن في كلّ العلوم هكذا، فأما الجوانب التطبيقية للعلوم والمعارف التي لا ينفع النظري منها موصولًا عن العمليّ، أما هذه فالحاجة فيها إلى الأستاذ المرشد وتوجيهاته أشدّ وأدعى.

خذ علوم الطبّ والصيدلة مثالًا، وكلاهما من العلوم التطبيقية، أنت لن تصبح طبيبًا بمحض المطالعة في كتب الطبّ وقرائنها، ولن تغدو صيدلانيًا بمجرد الخوض في أسفار الصيدلة، وأوضح الأمثلة لذلك في مجال علوم اللغة وفنونها "علم المخارج" و "علم التجويد"؛ فافهم أنّ علم الروح ليس بمستثنى مرسل عن قوانين الوسائل والغايات، فهو علم أجلّ منافعه إنّما هو في الجانب التطبيقي منه، فإذا كانت الحاجة في العلوم الأخرى ماسّة إلى الأستاذ المرشد المتمكّن فالحاجة إليه في علم الروح أمسّ، والاحتياج إليه أوجب من باب أولى.

ثمّ انظر إلى الشأن في أركان الدين، يرسل ربّ العالمين - جلّ وعلا - رسوله جبرائيل إلى خاتم النبيين - صلى الله وسلّم على رسوله الكريمين - ليعلمه الصلاة ويؤمّه للتطبيق في الصلوات الخمس المكتوبات

في أوقاتها، ارجع لأسانيد ذلك إلى كتاب الصلاة من مصادر الفقه، وهذا خاتم النبيين - جزاه الله عن المسلمين خيرًا وصلّى وسلّم عليه - قد تولّى الإرشاد والتعليم في الجانبين النظري والتطبيقي من أحكام الإسلام وشريعته الغراء، ولا سيما المخصوصة منها بأعمال القلوب من الورع والتقوى والذكر والفكر ومقام الإحسان، وتولّاه من بعده من أتباعه وارثو علمه سادات الأمة الداعون نيابة عنه إلى الله ﷻ وإلى خاتم أديانه الذي أكمله وارتضاه وأتمّ به نعمته على العالمين.

وتتابع العلم والإرشاد والمرشدون، يجيز السلف منهم الخلف في سلاسل متصلة من لدن خاتم النبيين - صلّى الله وسلّم عليهم أجمعين - إلى يومنا هذا، وإنّ من سلاسل المرشدين المجازين المجيزين على "طريق الحضور والإحسان"، "طريق صريح الإيمان" سلسلة هي أشبه ما تكون بسلسلة الذهب من رواة الحديث، وترقى في أعاليها إلى القاسم بن محمّد من فقهاء المدينة السبعة فإلى سيّدنا سلمان الفارسي فسيّدنا أبي بكر الصديق ﷺ، وتلقّى الصاحبان الجليلان من منبع العلم والإرشاد والعرفان والإحسان - صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه - ووارثي علمه إلى يوم الدين.

ويتلمذ الإنسان حتى يغدو عالمًا، فإذا غدا ملك أن يستزيد بالمطالعة في علم قريب من مجال اختصاصه لم يكن تلقاه بعينه من أساتذته، لكن عالم الفقه والقانون إذا أحبّ أن يصبح طبيبًا فوسيلته لذلك العودة إلى التلمذة ليس إلّا.

والمؤمن المتقن ما افترضه الله تعالى عليه من واجبات الإسلام ونوافله متى اتجه إلى مرضاة ربّه ورافق أصحاب القلوب أمكنه التدرّج بقوة الفكر حتى المثابة الأولى من النهج البادئ من مقام الإحسان، فأما المثابة العليا من النهج البادئ وأما النهج الأقصى فلا سبيل إليهما من دون أستاذ مرشد أمده الله تعالى بالعلم وبالقدرة على توجيه القلوب بحول الله وقوّته، ذلك لأنّ علالي المقصد الأسنى لا تنال ولا يعرج إليها إلّا بقوة القلب، والقدرة على استعمال قوّة القلب وسيلتها التدرّب بين يدي أستاذ مرشد قد بلغ النهج الأقصى من مقام الإحسان واتصلت بالإجازة أسبابه بالسلسلة الأنف ذكرها المتشبهة بأذيال خاتم النبيين وقدوة الأولين والآخرين - صلّى الله وسلّم على إمام المتقين وآله وأصحابه والمتشبهين بأذيال هدايته إلى يوم الدين -.

والغافل عن سنن الله تعالى وقوانينه في وسيلة العلم وتلقيه هو ذاك الذي تخيل إليه نفسه أن الأمر أنف لكل امرئ في كل زمان، وأن ليس من حاجة إنسان إلى إنسان في مجال علوم الدين والروح ومقام الإحسان، والغالب على هؤلاء الغافلين سوء الظن بعباد الله المخلصين، والالتفاء بالغبية والنميمة واقتراف هذه الآثام تزيينه لهم نفوسهم بأن فيها دعوة إلى الإسلام.

وأحب أن أضع لهذا الغافل ميزان اعتدال يزن هو به نفسه ويمتنح الخطأ من الصواب إن أقام فكره ورأسه. ليتعبد كيف يشاء وليتحنت كيف يشاء شهراً كاملاً أو عاماً كاملاً، ثم ليحرك قلبه كيف يشاء فلينظر هل أصبح قلبه ذاكرة الذكر الذي وصفناه عند بيان المثابة العليا من النهج البادي لمقام الإحسان؟ إنه سيدرك العجز عن إيصال قلبه إلى تلك المثابة، وإذا تبين عجزه فليكن بعد العجز حصيماً يزر نفسه الأمانة بالسوء تدعوه إلى الغرور والمكابرة والإهمال، وليتبع سنة الله ﷺ التي سنّها للتعلم والتلقي والاسترشاد فليذهب إلى عالم مرشد متخصص وارث لعلوم رسول الله، وليقبل يده وقدمه إخبائاً وتواضعاً ومحبةً لله - كما صنع أصحاب رسول الله مع رسول الله - اللهم صلّ وسلّم على هادينا ومرشدنا ومقتدانا محمد وآله وأصحابه ووارثي علومه الشريفة. ولك الحمد والشكر والمنة والعتبة أولاً وآخرًا حتى ترضى يا رب العالمين -. (معالم الطريق: ص 303 - 305).

المبحث الثاني: بعض خصائص الروح

س1: هل تؤمن بالتأثير الروحي؟ ولماذا؟

ج: نعم، أؤمن بالتأثير الروحي سلبيًا وإيجابيًا، لتضافر النصوص الشرعية على ذلك وتأكيدا عليه.

أ- بعض أدلة التأثير الإيجابي:

1- قوله تعالى:-

{ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا

مَعَ الأَبْرَارِ } [سورة آل عمران عليهم السلام: 193]

فانظروا يا رعاكم الله تعالى كيف علّمنا أن نسأله جلّ جلاله وعمّ نواله الوفاة بصحبة التقاة لما لها من بركات وتأثيرات.

2- قوله ﷺ:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [سورة التوبة: 119]

فتأملوا في هذا الأمر الربّاني لتفقهوا بركات الكينونة مع أهل الصدق.

3- قوله ﷺ:-

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [سورة الكهف: 28]

لا شكّ في أنّ وقع هذه الآية في بيان فوائد الحضور مع العباد وشدة التلاحم معهم وقع عظيم لا ينكر آثاره إلا مكابر.

4- حديث سيّدنا رسول الله ﷺ:-

(إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْدِثِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَنْبَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) الإمام مسلم رحمه المنعم سبحانه (2026/4)

5- أخرج الترمذي في (الجامع الصحيح: 666/4):-

(حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ هَلَالٍ الْبَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَعِيدِ الْجَرِيرِيِّ، ح وَحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَرَّازُ قَالَ: حَدَّثَنَا سَيَّارٌ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَعِيدِ الْجَرِيرِيِّ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ، - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ، نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأَرْوَاحَ وَالضَّيِّعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَكَذَلِكَ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

فَانْطَلَقْنَا، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ نُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأُرْوَاحَ وَالضَّيِّعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ فِي مَجَالِسِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَعَلَى فُرُشِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ)

وسواء عنى حنظلة بقوله "كأنا رأي عين" أنهم صاروا كأنهم يرون الله ﷻ أم كأنهم يرون الجنة والنار رأي عين فالمستفاد من شكاته ثم من جواب النبي ﷺ أنه وأمثاله من الأصحاب قد كانوا في ذروة مقام الإحسان. رضي الله تعالى عنهم وأثابهم بجهادهم وجزاهم عتًا خيرًا، فلقد علمونا ونقلوا إلينا العلم مدرارًا. ثم انظر كيف كان رسول الله ﷺ يذكهم ويدربهم بقلبه وبحاله وبمقاله: أخرج البخاري (القسطلاني: 108/11):

(حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ هِلَالِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ (هِلَالٌ) سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى لَنَا يَوْمًا الصَّلَاةَ "الظُّهْرَ عَلَى مَا قَالَ الْقَسْطَلَانِيُّ" ثُمَّ رَقِيَ الْمُنْبَرِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ قَبْلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: قَدْ أُرِيتُ الْآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمْ الصَّلَاةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، مُمْتَلَتَيْنِ "أَي مَصَوَّرَتَيْنِ كَمَا قَالَ الْقَسْطَلَانِيُّ" فِي قُبُلِ هَذَا الْجِدَارِ "أَي وَاجِهَتَهُ" فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ)

6- حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال:-

(كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدْلًا عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدْلًا عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوَاءٌ، فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيِّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَالَى أَيَّتَهُمَا

كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ (الإمام مسلم رحمه الله جلّ في علاه (103/8))

وهذا الحديث الشريف يبيّن بجلاء ووضوح فائدة التوجّه لصحبة الصالحين رضي الله تعالى عنهم وعنكم أجمعين.

7- ومن الشواهد التطبيقية تلك القلوب التي أحيها سيّدنا رسول الله ﷺ والتي كانت أقسى من الحجر.

ويطيب لي أن أستشهد بقصة سيّدنا فضالة ﷺ التي أوردها صاحب - زاد المعاد - في سيرته وهو ما حدث يوم فتح مكة المكرمة "إِذْ هَمَّ فَضَالَةٌ أَنْ يَقْتَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفُضَالَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ فَضَالَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ كُنْتُ أَذْكَرُ اللَّهَ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: "أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ"، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ، وَكَانَ فَضَالَةٌ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَن صَدْرِي حَتَّىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ، قَالَ فَضَالَةٌ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ أَهْلِي فَمَرَرْتُ بِأَمْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ فَقُلْتُ: لَا، وَانْبَعَثَ فَضَالَةٌ يَقُولُ:-

قَالَتْ هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ فَقُلْتُ لَا *** يَا بَىٰ عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ

لَوْ مَا رَأَيْتِ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ *** بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكْسَرُ الْأَصْنََامُ

لَرَأَيْتِ دِينَ اللَّهِ أَضْحَىٰ بَيْنَنَا *** وَالشَّرْكَ يَعْنَىٰ وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ

(السيرة النبوية لابن هشام: 80/5، زاد المعاد: 361/3).

8- سئل سيّدنا رسول الله ﷺ (مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذَكَرَ اللَّهُ) الإمام النسائي رحمه الله تعالى.

فلنفهم ممّا تقدّم أنّ مصاحبة أحياء القلوب الصالحين والإفادة من نور قلوبهم والتأدّب بأدابهم كلّ هذه مأمور بها في شرعة المسلمين جليّة المنافع للدنيا والدين، وهي تثبت كغيرها من مثيلاتها وهي كثيرة التأثير الإيجابي للأرواح الزكيّة.

ب- بعض أدلة التأثير السلبي:

1- قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام:-

{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ
الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [سورة سيدنا يوسف عليه السلام: 67]

فانظروا وفتكم الله تعالى كيف أن سيدنا يعقوب عليه السلام خاف على بنيه من الحساد إن هم دخلوا من باب واحد وأن القرآن الكريم وافقه ولم ينكر عليه.

2- قوله تعالى:-

{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} [سورة الفرقان: 27]

فالآية الكريمة تثبت فضلا لمعية الرسول صلى الله عليه وسلم.

3- قوله صلى الله عليه وسلم:-

{وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ} [سورة الزخرف: 36 - 37]

نصت الآية الكريمة على التأثير السلبي للغفلة وقدرة الشيطان.

4- حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:-

(الْعَيْنُ حَقٌّ، وَيَحْضُرُ بِهَا الشَّيْطَانُ وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ) الإمام أحمد رحمه الفرد الصمد جل جلاله.

وقال صلى الله عليه وسلم:-

(الْعَيْنُ تُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ) الإمام أبو نعيم رحمه الله تعالى في الحلية (90/7).

5- كل الآيات والأحاديث التي تبين آثار الصحبة الصالحة بمنطوقها، تصلح أدلة على آثار الصحبة

السيئة بمفهومها المخالف، ولخطورة التأثير السلبي فإن الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نلوذ بجنابه ونحتمي بحماه صلى الله عليه وسلم

فقال:-

{وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة الأعراف: 200].

وقال ﷺ:-

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [سورة النحل: 98].

وأنزل سورتين كاملتين في الاستعاذة وهما:-

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} من شرِّ ما خلقَ} ومن شرِّ غاسقٍ إذا وَقَبَ} ومن شرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ

{ومن شرِّ حاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [سورة الفلق: 1 - 5]

و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} مَلِكِ النَّاسِ} إِلَهِ النَّاسِ} من شرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} الَّذِي يُوسُّوسُ

فِي صُدُورِ النَّاسِ} مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} [سورة الناس: 1 - 6]

ومن العجب العجاب أن كثيراً من الناس يؤمنون بالتأثير الروحي السلبي إلى حدّ الخرافات وينكرون تأثيرها الإيجابي إلى حدّ التعدي على حرمة المؤمنين بها وإن كانوا من علماء الأمة المشهود لهم بالصلاح والإصلاح، بل المجمع على صلاحهم دون مخالف، وقد قدر الله ﷻ لي اللقاء بأحد المنكرين بمسجدي (جامع الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى) ببغداد فرج الله عنها وعن أهلها، فحدثته بكلّ ما أعلم من هدايات الكتاب والسنة في التأثير الإيجابي للروح لكنّه خرج منكرًا، ولم يلبث سوى أيام قليلة حتى جاءني يقول: "دخيل الله خلصوني" فقلت: ما الذي حدث؟ خير إن شاء الله تعالى؟ فقال: "أصابنتي كوارث بسبب حاسد" فذكر احتراق داره، وحصول حادثة مرورية لولده مع إصابات خطيرة! فقلت: كيف عرفت ذلك؟ قال: دخل عليّ رجل في متجري فقال: هذا كلّك وتملك دارًا وسيارة؟! وبعد خروجه بفترة وجيزة حصلت هذه الكوارث تتري..

فقلت له: سبحان الله! قبل أيام كنت تنكر التأثير الروحي واليوم تثبته، ألا تجد نفسك بحاجة ماسّة إلى مراجعة أفكارك ومعتقداتك؟ ثمّ نصحته بأن يسلم الأمر لله تبارك وتعالى ويرضى بما قدر الله ﷻ ويكرّر ما أرشد إليه سيّدنا رسول الله ﷺ حيث قال:-

(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اِحْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ ذكره (56/8).

ولا شك أننا حين نعتقد بالتأثير الروحي سلّبا وإيجابا نؤمن بيقين أنّ الفاعل هو الله تعالى، قال ﷺ:-

{وَاتَّبِعُوا مَا نَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [سورة البقرة: 102]

وهذا واضح أيضا لكلّ من تأمّل في تعريف الرابطة المذكور في هذا البحث.

س2- هل يقرّ العلم الحديث بالتأثير القلبي؟

ج/ نعم يقرّ بذلك فقد جاء في موقع الدكتور عبد الدائم الكحيل (أسرار القلب) ما يلي:

"ذبذبات من القلب"

يقول الدكتور بول برسال Paul Pearsall إنّ القلب يحسّ ويشعر ويتذكّر ويرسل ذبذبات تمكّنه من التفاهم مع القلوب الأخرى، ويساعد على تنظيم مناعة الجسم، ويحتوي على معلومات يرسلها إلى كلّ أنحاء الجسم مع كلّ نبضة من نبضاته. ويتساءل بعض الباحثين: هل من الممكن أن تسكن الذاكرة عميقا في قلوبنا؟

إنّ القلب بإيقاعه المنتظم يتحكم بإيقاع الجسد كاملا فهو وسيلة الربط بين كلّ خلية من خلايا الجسم من خلال عمله كمضخة للدم، حيث تعبر كلّ خلية دم هذا القلب وتحمل المعلومات منه وتذهب بها إلى بقية خلايا الجسم، إذن القلب لا يغذي الجسد بالدم النقي إنّما يغذيه أيضا بالمعلومات! ومن الأبحاث الغربية التي أجريت في معهد "رياضيات القلب" HeartMath أنّهم وجدوا أنّ المجال الكهربائي للقلب قوي جدًا ويؤثر على من حولنا من الناس، أي أنّ الإنسان يمكن أن يتصل مع غيره من خلال قلبه فقط دون أن يتكلم!!!

القلب يؤثر على قلوب الآخرين:

أجرى معهد رياضيات القلب العديد من التجارب أثبت من خلالها أنّ القلب يبيث ترددات كهرومغناطيسية تؤثر على الدماغ وتوجّهه في عمله، وأنّه من الممكن أن يؤثر القلب على عملية الإدراك والفهم لدى الإنسان. كما وجدوا أنّ القلب يبيث مجالاً كهربائياً هو الأقوى بين أعضاء الجسم، لذلك فهو من المحتمل أن يسيطر على عمل الجسم بالكامل.

القلب يؤثر على أدمغة الآخرين:

إنّ النتائج التي قدّمها معهد رياضيات القلب مبهرة وتؤكد أنّك عندما تقترب من إنسان آخر أو تلمسه أو تتحدّث معه، فإنّ التغيّرات الحاصلة في نظام دقّات قلبك تنعكس على نشاطه الدماغى!! أي أنّ قلبك يؤثر على دماغ من هو أمامك.

- المجال الكهربائي للقلب أقوى 50 - 100 مرّة من الدماغ.

- المجال المغناطيسي للقلب أقوى بخمسة آلاف مرّة من الدماغ.

- يؤكّد الباحثون أنّ القلب يتأثر ببعض الكلمات ذات المعنى المريح، ويتغيّر معدّل النبض ويتغيّر المجال الكهرومغناطيسي للقلب ويؤثر على الناس القريبين منه.

ومن أراد الاستزادة فعليه بالرجوع إلى الموقع المذكور وأمثاله. وصدق الله العظيم القائل:-

{سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}

[سورة فصلت: 53].

الفصل الثالث

الإيمان بالروح وآثاره مجمع عليه

بين علماء الإسلام وحكم الرابطة

- وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإيمان بالروح وآثاره مجمع عليه

المبحث الثاني: حكم الرابطة الشريفة

أودّ في بداية هذا المبحث التأكيد على ما يلي:-

1- ما سبق ذكره من هدايات الكتاب والسنة كافية شرعاً لإثبات مشروعية الرابطة والتأثير الروحي، وما أذكره هنا هو من باب التأكيد والتوضيح ليس إلا، على أننا بفضل ربنا ﷺ على الحق الذي جاء به سيّد الخلق ﷺ.

قال تعالى:-

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [سورة سبينا يوسف الطي: 108].

وقال سيّدنا رسول الله ﷺ:-

(قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ - وَفِي رِوَايَةٍ - عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ- لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ) الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى (16/1).

ومن أروع وأجمل ما ورد في الاستدلال على الرابطة الشريفة ما استنبطه حضرة شيخنا إذ قال ﷺ:-

"فلنتأمل الآن في مزيد من أحكام الكتاب والسنة في هذا الشأن، في قوله تعالى:-

{فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ❁ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ} [سورة البقرة: 200 - 201].

أتتنا هذه الآية الكريمة بهذه الأحكام:-

أ- الأمر بذكر الله.

ب- تجويز ذكرنا آباءنا.

ج- تجويز ذكرنا الناس سوى آبائنا.

د- الأمر بذكر الله ذكراً أشد من ذكر الآباء.

هـ - الأمر بالدعاء لخير الدنيا مع خير الآخرة.

وسياق الآية ومقتضى الحال واضحان كلّ الوضوح في أنّ التشبيه بذكر الآباء لا علاقة له بوصف الأبوة على وجه الحصر، بل هو تشبيهه لذكر الله تعالى بذكر إنسان كالأب مثلاً.

وكما أنّ أقلّ الذكر قد نصّ على جواز تشبيهه وأمرَ بمثله في حقّ الله تعالى، فكذلك الشأن في الذكر الأشدّ أمرًا به وتجويزًا لتشبيهه بما هو أشدّ من ذكر الآباء ممّا يكون بين بني الإنسان.

فكأنّ الآية الكريمة مبنية على مثل صنعة الاحتباك.

والاحتباك لغة: من الحبك وهو: الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصناعة في الثوب. **القاموس المحيط (297/3)**.

وإصطلاحًا: هُوَ أَنْ تَجْعَلَ الْكَلَامَ شَطْرَيْنِ وَتَحْذِفَ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا نَظِيرَ مَا أُثْبِتَ فِي الْآخِرِ قَصْدَ الْاِخْتِصَارِ. **تفسير الشعراوي (4098/7)**.

ولتوضيحه نذكر أمثلةً، منها:-

أولاً: قوله ﷻ:-

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّائِبَاتِ فِئَةٌ ثَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ} [سورة آل عمران عليهم السلام: 13].

أي: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّائِبَاتِ فِئَةٌ (مُؤْمِنَةٌ) ثَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ (تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ}.

فَحْذِفَ الْوَصْفَ وَهُوَ لَفْظُ (مُؤْمِنَةٌ) فِي الْأَوَائِلِ لِدَلَالَةِ مُقَابَلِهِ فِي الْآخِرِ وَهُوَ لَفْظُ (كَافِرَةٌ)، وَحْذِفَ مِنَ الْآخِرِ جُمْلَةً (تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) لِدَلَالَةِ مُقَابَلِهِ فِي الْأَوَائِلِ، وَهِيَ جُمْلَةٌ (تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) **البلاغة العربية (347/1)**.

ثانياً: قوله تبارك في علاه:-

{أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [سورة فصلت: 40]

تقدير الآية الكريمة:-

{(أفمن يأتي خائفا يوم القيامة) فيلقى في النار خيرا أم من يأتي آمنا يوم القيامة (فيدخل الجنة)}.

فحذف (أفمن يأتي خائفا يوم القيامة) لدلالة مقابله (أم من يأتي آمنا يوم القيامة) وذلك لأنّ الخوف يقابله الأمن.

وحذف (فيدخل الجنة) لدلالة (يلقى في النار) لوجود التناظر بينهما.

وهناك نوع يسمّى شبه الاحتباك لعدم التقابل التام بين المحذوف والمذكور، ومن أمثلته:-

أولا: قوله تبارك اسمه:-

{تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَليَهُمُ الْيَوْمَ ---} [سورة النحل: 63]

فتقدير الآية الكريمة:-

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ (فَكَانَ وَلِيَهُمْ حِينِيذٍ)، وَهُوَ وَلِيُّ (المشركين يُزَيِّنُ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) الْيَوْمَ} {التحرير والتنوير (195/14).

فحذف (فَكَانَ وَلِيَهُمْ حِينِيذٍ) لوجود دليل يدل عليه وهو أنه صار وليا للمشركين (اليوم).

وحذف (يزين لهم أعمالهم) لوجود الدليل وهو أنه (فزين لهم أعمالهم) فكما زين لمن سبق فهو يزين لمن بعدهم.

ثانيا: قوله ﷻ:-

{فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ---} [سورة البقرة: 200]

تقدير الآية الكريمة: {اذكروا الله تعالى (ذكرا كثيرا) كذكركم آباءكم أو اذكروا الله تعالى أشدّ ذكرا (كذكركم من تذكرونه أشدّ من ذكر آباءكم)}

فحذف من القضية الأولى (ذكرا كثيرا) لوجود المقابل في القضية الثانية وهو صيغة أفعال التفضيل (أشدّ ذكرا) لأنّ مقابل (الأشدّ) (الشديد والكثير)، لأنّ صيغة أفعال التفضيل تدلّ على المشاركة والزيادة، فإذا قلنا: (زيد أشد من سعد) مثلا فمعناه أنّ زيدا فاق سعدا في الشدة لكنهما مشتركان في أصل الشدة.

وحذف من القضية الثانية (كذكركم مَنْ تذكرونه أشدَّ من ذكر آباءكم) لوجود المقابل وهو قوله تعالى (كذكركم آباءكم).

وكان هذا مثل الاحتباك وليس احتباكاً لعدم التضادِّ بين المتقابلين لكن فهمت المقابلة من السياق، والله تعالى أعلم.

قال سيدي حضرة الشيخ عبد الله الهرشمي طيب الله تعالى روحه وذكره وثراه ورضي عنه وأرضاه معلّقاً على هذه الآية الشريفة:-

(وكما أنّ أقلّ الذكر قد نصّ على جواز تشبيهه وأمرَ بمثله في حقّ الله تعالى، فكذلك الشأن في الذكر الأشدّ أمراً به وتجويزاً لتشبيهه بما هو أشدّ من ذكر الآباء ممّا يكون بين بني آدم.

فكأنّ الآية الكريمة مبنية على مثل صنعة الاحتباك، وصورتها:-

"اذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً، كذكركم مَنْ تذكرونه ذكراً أشدّ مِنْ ذكركم آباءكم"

وعلى الحدّين تشتمل الآية على تجويز ذكر السالك إنساناً هو شيخه، بيّد أنّ الذكر الروحاني من السالك أشدّ من ذكره أباه وأتمّ.

فذكر الله تعالى الأتمّ الأكمل أيضاً مأمور به، وهو مفضّل على الحدّ الأقلّ الذي هو في مستوى ذكر الآباء. والسالك الروحاني إنّما يذكر مرشده الروحي لكي يرتقي هو إلى مصافّ ذكر الله تعالى ذكراً أقوى وأتمّ وأكمل من كلّ ذكر حتّى ذكره شيخه. (معالم الطريق في العمل الروحي الاسلامي: 305 - 307)

2- الاعتقاد بالتأثير الروحي الإيجابي ليس حكراً على الربانيين الذين يُعَنّون بالتركية، أو الذين اشتهروا عند الناس بأنهم روحانيون، بل عمّ جُلّ علماء الإسلام، حتّى أولئك الذين نسب إليهم إنكار العمل الروحي أو فسّر كلامهم ليوافق أهواء النحل المنحرفة عن جادة الصواب، أو وجدت لهم عبارات فعلاً تدلّ على الإنكار لكن المتأمل يجدها مناقضة لنصوص أخرى ثابتة عنهم، وهذا قليل ينمّ عن ضعف الإنسان وتعرّضه للخطأ والسهو والنسيان، قال ﷺ:-

(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) الإمام الترمذي رحمه الله جلّ وعلا (659/4).

أو أنها وردت في طائفة ممن انتحلوا أسماء الروحانيين ظلمًا فعَمَّمها أهل الأهواء ليشمل الجميع!! فمنذ زمان ليس ببعيد يلصق طائفة من الناس إنكار التأثير الروحي والمقامات والأحوال القلبية لبعض العلماء كأمثال الشيخ ابن تيمية وابن القيم أو لمن يسمونهم بعلماء السلفية، ولا شك أن في هذه النسبة إساءة واضحة لهؤلاء العلماء -رحمهم الله تعالى - بلطفه وجزاهم سبحانه بمنه وعطفه، فالشيخ ابن تيمية - رحمه الله ﷺ - يقول في كرامات الأولياء وغيرها من أعمال القلوب:-

(وَكِرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ حَقٌّ بِاتِّفَاقِ أُمَّةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ وَالْآثَارُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ أَهْلُ الْبِدْعِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَمَنْ نَبِعَهُمْ) (مختصر الفتاوى المصرية: ص 600).

(وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِي طَرِيقِهِمْ فَطَائِفَةٌ ذَمَّتِ الصُّوفِيَّةَ وَالتَّصَوُّفَ وَقَالُوا إِنَّهُمْ مُبْتَدِعُونَ خَارِجُونَ عَنِ السُّنَّةِ، وَطَائِفَةٌ غَلَّتْ فَجَعَلَتْ طَرِيقَهُمْ أَفْضَلَ الطَّرِيقِ، وَالصَّوَابُ أَنََّّهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَمِنْهُمْ الْمُذْنِبُ وَالتَّقِيُّ، وَقَدْ صَارَتِ الصُّوفِيَّةُ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ: صُوفِيَّةُ الْحَقَائِقِ، وَصُوفِيَّةُ الْأَرْزَاقِ، وَصُوفِيَّةُ الرُّسُومِ، فَأَمَّا صُوفِيَّةُ الْحَقَائِقِ فَهُمْ الَّذِينَ وَصَفْنَاهُمْ - بِأَنََّّهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ - وَأَمَّا صُوفِيَّةُ الْأَرْزَاقِ فَهُمْ الَّذِينَ وَقَفَتْ عَلَيْهِمُ الْخَوَانِقُ وَالْوُقُوفُ فَلَا يُسْتَرَطُّ فِي هَوْلَاءِ أَنْ يَكُونُوا أَهْلَ الْحَقَائِقِ، وَأَمَّا صُوفِيَّةُ الرُّسُومِ فَهُمْ الْمُقْصُودُونَ الْمُقْتَصِرُونَ عَلَى التَّشَبُّهِ بِهِمْ فِي اللَّبَاسِ وَالْآدَابِ الْوَضْعِيَّةِ، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يَفْتَصِرُ عَلَى زِيِّ أَهْلِ الْعِلْمِ) (مختصر الفتاوى المصرية: ص 571 - 572).

(أَعْمَالُ الْقُلُوبِ الَّتِي تُسَمَّى الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ، وَهِيَ مِنْ أُسُولِ الْإِيمَانِ وَقَوَاعِدِ الدِّينِ، مِثْلَ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ وَالتَّشْكُرِ لَهُ وَالتَّصَبُّرِ عَلَى حُكْمِهِ وَالتَّوَكُّلِ مِنْهُ وَالتَّوَكُّلِ وَمَا يَتَّبَعُ ذَلِكَ، كُلُّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ الْمَأْمُورِينَ بِأَصْلِ الدِّينِ بِاتِّفَاقِ أُمَّةِ الدِّينِ... وَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ لِلْخَاصَّةِ خَاصَّتْهَا وَلِلْعَامَّةِ عَامَّتْهَا) (مختصر الفتاوى المصرية: ص 587 - 589).

(إِذَا كَانَتْ أَسْبَابُهَا مَشْرُوعَةً وَصَاحِبُهَا صَادِقًا عَاجِزًا عَنِ دَفْعِهَا كَانَ مَحْمُودًا عَلَى فِعْلِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَعْدُورًا فِيمَا عَجَزَ عَنْهُ وَأَصَابَهُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، وَهُمْ أَكْمَلُ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْ مَنْزِلَتَهُمْ لِنَقْصِ إِيْمَانِهِ وَقَسَاوَةِ قَلْبِهِ، وَمَنْ لَمْ يَزَلْ عَقْلُهُ مَعَ كَوْنِهِ قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ مَا حَصَلَ لَهُمْ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ، وَهَذِهِ حَالُ الصَّحَابَةِ ﷺ وَحَالُ

نَبِيَّنَا ﷺ، فَإِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ وَرَأَى مَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى وَأَصْبَحَ ثَابِتَ الْعَقْلِ لَمْ يَتَغَيَّرْ، فَحَالُهُ بِإِلَاحِ شَاكٍ أَفْضَلُ مِنْ حَالِ مُوسَى ﷺ الَّذِي حَزَّ صَعِقًا لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ وَجَعَلَهُ دَكَّا، وَحَالِ مُوسَى ﷺ حَالُ جَلِيلَةٍ فَاضِلَةٌ عَلَيْهِ، لَكِنَّ حَالَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ وَأَعْلَى) (مختصر الفتاوى المصرية: ص 570 - 571).

قال شيخي - طيب الله تعالى روحه وثره :-:-

(هذا ما قاله الشيخ ابن تيمية وذهب إليه، ونحن نقول بجميع ما قاله وذهب إليه، أما تلميذه المفضل الشيخ ابن قيم الجوزية - وهو كأستاذه قد تعرّض اسمه للذم والاستغلال - فلا ينبغي عليّ أن أنقل رأيه في التصوّف الإسلامي، فإنّه قد أُلّف في التصوّف كتاب "مدارج السالكين" في ثلاثة أجزاء فينبغي على الرفيق القارئ أن يطّلع عليه ويقراه، ولقديما الحنابلة فضل في مجال أعمال الروح الإسلامية، يذكر إمامان جليلان من أئمتهم لهما قدم راسخة في الروحانية والعمل الروحي أولهما وهو أقدمهما، حضرة الإمام عبد الله بن محمد بن علي الهروي المتوفى سنة 481 هـ، وثانيهما مفتي الحنابلة في بغداد حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني المتوفى سنة 561 هـ، وللإمام الهروي كتاب "منازل السائرين" وهذا هو المتن الذي شرحه ابن القيم بكتاب "مدارج السالكين" السالف ذكره، وللشيخ عبد القادر الكيلاني كتاب "الفتح الرباني"، - اللهم اجزهم عن المسلمين خيرا وأنلهم من عندك فضلا وبرًا، وأفض علينا أمثال بركاتهم، واسلك بنا مسلك كرامتهم، إنك أنت الكريم الوهاب -). (معالم الطريق في العمل الروحي الاسلامي: ص

160)

وأرى أنّ الموضوع يحتاج إلى أكثر ممّا نقلت عن الشيخ ابن تيمية - رحمه الله تعالى -، لما ذكرت سابقًا من استغلال بعض أقواله في المنحرفين من المدّعين وتعميمها على الجميع.

قال - رحمه الله تعالى :-:-

(الْقَلْبُ الْمَعْمُورُ بِالتَّقْوَى إِذَا رَجَحَ بِمَجَرِّدِ رَأْيِهِ فَهُوَ تَرْجِيحٌ شَرْعِيٌّ، قَالَ: فَهَمَّتِي مَا وَقَعَ عِنْدَهُ فِي قَلْبِهِ مَا يَظُنُّ مَعَهُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَوْ هَذَا الْكَلَامَ أَرْضَى لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، كَانَ هَذَا تَرْجِيحًا بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ، وَالَّذِينَ أَنْكَرُوا كَوْنَ الْإِلَهَامِ لَيْسَ طَرِيقًا لِلْحَقَائِقِ مُطْلَقًا أَخْطُؤْا، فَإِذَا اجْتَهَدَ الْعَبْدُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ كَانَ تَرْجِيحُهُ لِمَا رَجَحَ أَقْوَى مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَقْيَسَةِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَوْهُومَةِ وَالظَّوَاهِرِ وَالِاسْتِصْحَابَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا

كَثِيرٌ مِنَ الْخَائِضِينَ فِي الْمَذَاهِبِ وَالْخِلَافِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: أَقْرَبُوا مِنْ أَفْوَاهِ الْمُطِيعِينَ، وَاسْمَعُوا مِنْهُمْ مَا يَقُولُونَ، فَإِنَّهُمْ تَتَجَلَّى لَهُمْ أُمُورٌ صَادِقَةٌ، وَحَدِيثٌ مَكْحُولٌ الْمَرْفُوعُ: (مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا أَجْرَى اللَّهُ الْحِكْمَةَ عَلَى قَلْبِهِ وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ)

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ)

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: "إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَى النَّفْوَى جَالَتْ فِي الْمَلَكُوتِ وَرَجَعَتْ إِلَى أَصْحَابِهَا بِطَرَفِ الْفَوَائِدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا عَالِمٌ عِلْمًا" (مجموع الفتاوى: 43/20).

لقد قال حضرة النبي صلى الله عليه وسلم:-

(الصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ) (الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ و علا (203/1)).

وَمَنْ مَعَهُ نُورٌ وَبُرْهَانٌ وَضِيَاءٌ كَيْفَ لَا يَعْرِفُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ مِنْ فَحْوَى كَلَامِ أَصْحَابِهَا؟ وَلَا سِيَّمَا الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ، فَإِنَّهُ يَعْرِفُ ذَلِكَ مَعْرِفَةً تَامَّةً، لِأَنَّهُ قَاصِدُ الْعَمَلِ بِهَا، فَتَنْتَسَعِدُ فِي حَقِّهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مَعَ الْإِمْتِنَانِ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، حَتَّى إِنَّ الْمَحَبَّ يَعْرِفُ مِنْ فَحْوَى كَلَامِ مَحْبُوبِهِ مَرَادَهُ مِنْهُ تَلْوِيحًا لَا تَصْرِيحًا.

الْعَيْنُ تَعْرِفُ فِي عَيْنِي مُحَدِّثَهَا *** إِنَّ كَانَ مِنْ حَزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا

(مضاهاة أمثال كليلة ودمنة: 29/1).

إِنَارَةُ الْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطُوعِ هَوَى *** وَعَقْلٌ عَاصِي هَوَى يَزْدَادُ تَنْوِيرًا

(البحر المديد: 134/7، ومعجم القواعد العربية: 64/2).

وفي الحديث الصحيح:-

(وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا) (الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه (105/8)).

وَمَنْ كَانَ تَوْفِيقَ اللَّهِ لَهُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَا بَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ وَنَفْسٍ فَعَّالَةٍ؟ وَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ وَالْبِرُّ فِي صَدُورِ الْخَلْقِ لَهُ تَرَدُّدٌ وَجَوْلَانٌ، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ اللَّهُ سَمِعَهُ وَبَصَرَهُ وَهُوَ فِي قَلْبِهِ؟ وَقَدْ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "الْإِثْمُ حَوَازُ الْقَلْبِ: جَمْعُ حَازَةٍ وَهِيَ الْأُمُورُ الَّتِي تَحْزُرُ فِي الْقُلُوبِ وَتَحْكُ وَتُؤَثِّرُ وَيَتَخَالَجُ فِيهَا أَنْ تَكُونَ مَعَاصِي لَفَقْدِ الطَّمَأْنِينَةِ إِلَيْهَا". (جامع العلوم والحكم: 255/1، وفصل المقال في شرح كتاب الامثال: 309/1).

وقد قدّمنا أنّ الكذب ريبة والصدق طمأنينة، فالحديث الصدق تطمئن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب. وأيضاً فإنّ الله فطر عباده، فإذا لم تستحل الفطرة شاهدت الأشياء على ما هي عليه فأنكرت منكرها وعرفت معروفها، وقد قال عمر رضي الله عنه: "الْحَقُّ أْبْلَجُ لَا يَخْفَى عَلَى قَطِينٍ" (مجموع الفتاوى: 44/20). فإذا كانت الفطرة مستقيمة على الحقيقة منورة بنور القرآن، تجلّت لها الأشياء على ما هي عليه في تلك المزايا، وانتفت عنها ظلمات الجهالات، فرأت الأمور عياناً مع غيبها عن غيرها. وفي السنن والمسند وغيره عن النّوّاس بن سمعان رضي الله عنه عن حضرة النبي صلى الله عليه وآله قال:-

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ مُرْحَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجُهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ: مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ) الإمام أحمد رحمه الفرد الصمد عزّ شأنه (184/29).

فقد بيّن في هذا الحديث العظيم الذي من عرفه انتفع به انتفاعاً بالغاً إن ساعده التوفيق، واستغنى به عن علوم كثيرة: أنّ في قلب كلّ مسلم واعظاً، والوعظ هو الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، وإذا كان القلب معموراً بالتقوى انجلت له الأمور وانكشفت، بخلاف القلب الخرب المظلم.

قال سيّدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:-

(إِنَّ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ سِرَاجًا يَزْهُرُ) (مجموع الفتاوى 45/20).

وفي الحديث الصحيح:-

(لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيِي الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضٌ، وَالْآخَرُ رَأْيِي الْعَيْنِ، نَارٌ تَأْجَجُ، فَإِذَا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلَيَاتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُعَمَّضْ، ثُمَّ لِيُطَاطِئُ رَأْسَهُ فَيَشْرَبُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ جلاله (195/8).

فدلّ على أنّ المؤمن يتبين له ما لا يتبين لغيره، ولا سيما في الفتن، وينكشف له حال الكذاب الواضع على الله ﷻ ورسوله ﷺ، فإنّ الدجال أكذب خلق الله، مع أنّ الله تعالى يجري على يديه أمورًا هائلة، ومخاريق مزلّلة، حتى أنّ من رآه افتتن به، فيكشفها الله ﷻ للمؤمن حتى يعتقد كذبها وبطلانها.

وكلّما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطنها، وكلّما ضعف الإيمان ضعف الكشف، وذلك مثل السراج القوي والسراج الضعيف في البيت المظلم، ولهذا قال بعض السلف في قوله تعالى:-

{نُورٌ عَلَى نُورٍ} [سورة النور: 35]

قال: هو المؤمن ينطق بالحكمة المطابقة للحقّ وإن لم يسمع فيها بالأثر، فإذا سمع فيها بالأثر كان نورًا على نور. (مجموع الفتاوى: 45/20 - 46).

فالإيمان الذي في قلب المؤمن يطابق نور القرآن، فالإلهام القلبي تارة يكون من جنس القول والعلم. وظنوا أنّ هذا القول كذب، وأنّ هذا العمل باطل، وهذا أرجح من هذا، أو هذا أصوب. وفي الصحيح عن حضرة النبي ﷺ قال:-

(لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عَمْرُ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.

والمُحَدِّثُ: هو المُلهَم المُخَاطَبُ في سرّه، وما قال سيّدنا عمر ﷺ لشيء: إني لأظنّه كذا وكذا إلا كان كما يظنّ، وكانوا يرون أنّ السكينة تنطق على قلبه ولسانه.

وأيضاً فإن كانت الأمور الكونية قد تتكشف للعبد المؤمن لقوة إيمانه يقيناً وظناً، فالأمور الدينية كشفها له أيسر بطريق الأولى، فإنه إلى كشفها أحوج، فالمؤمن تقع في قلبه أدلة على الأشياء لا يمكن التعبير عنها في الغالب، فإن كل أحد لا يمكنه إبانة المعاني القائمة بقلبه، فإذا تكلم الكاذب بين يدي الصادق عرف كذبه من فحوى كلامه، فتتدخل عليه نخوة الحياء الإيماني فتمنعه البيان، ولكن هو في نفسه قد حذره منه، وربما لَوَّح أو صرَّح به خوفاً من الله تعالى، وشفقة على خلق الله، ليحذروا من روايته أو العمل به.

وكثير من أهل الإيمان والكشف يلقي الله ﷻ في قلبه أن هذا الطعام حرام، وأن هذا الرجل كافر، أو فاسق، أو خمار، أو مغني، أو كاذب، من غير دليل ظاهر، بل بما يلقي الله تعالى في قلبه، وكذلك العكس، يلقي في قلبه محبة لشخص، وإنه من أولياء الله، وأن هذا الرجل صالح، وهذا الطعام حلال، وهذا القول صدق، فهذا وأمثاله لا يجوز أن يُستبعد في حق أولياء الله المؤمنين المتقين.

و "قصة الخضر مع موسى -عليهما السلام- هي من هذا الباب، وأن الخضر علم هذه الأحوال المعينة بما أطلعه الله عليه، وهذا باب واسع يطول بسطه، قد نبهنا فيه على نكت شريفة تطلعك على ما وراءها" **مجموع الفتاوى (47/20).**

وما قاله شيخ الإسلام هنا، أكده وأيده تلميذه المحقق الشيخ ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى: في عدد من كتبه، وخصوصاً في كتابه الشهير "مدارج السالكين".

وأختم بهذا النصّ الوارد في فتاوى الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى والذي يدلّ دلالة قطعية على إقرار الشيخ رحمه الله ﷻ بحقيقة الرابطة الشريفة التي وصفتها وإن لم يفصح باسمها، قال رحمه الله تعالى:-

(فَإِنَّكَ إِذَا أَحْبَبْتَ الشَّخْصَ لِلَّهِ كَانَ اللَّهُ هُوَ الْمُحْبُوبَ لِذَاتِهِ، فَكُلَّمَا تَصَوَّرْتَهُ فِي قَلْبِكَ تَصَوَّرْتَ مَحْبُوبَ الْحَقِّ فَأَحْبَبْتَهُ، فَازْدَادَ حُبُّكَ لِلَّهِ كَمَا إِذَا ذَكَرْتَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَصْحَابَهُمُ الصَّالِحِينَ وَتَصَوَّرْتَهُمْ فِي قَلْبِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْذِبُ قَلْبَكَ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ وَبِهِمْ إِذَا كُنْتَ تُحِبُّهُمْ لِلَّهِ، فَالْمَحْبُوبُ لِلَّهِ يَجْذِبُ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَالْمُحِبُّ لِلَّهِ إِذَا أَحَبَّ شَخْصًا لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مُحْبُوبُهُ، فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَجْذِبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكُلُّ مَنْ مُحِبِّ اللَّهِ وَالْمَحْبُوبِ لِلَّهِ يَجْذِبُ إِلَى اللَّهِ). **مجموع الفتاوى (608/10).**

فدقق النظر في هذا النصّ وانبذ التعصّب لتهتدي لما فيه سعادة الدارين بإذن الله ﷻ.

ملاحظات:

أ- اكتفيت بنقل بعض نصوص الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى لأنّ كثيرًا من المعارضين لا يقتنعون إلا برأيه، وكم كنت أتمنى أن يكونوا منصفين معه رحمه الله ﷻ أميين في نقل ما أثبتته في مؤلفاته، وما استودعه في عقول تلامذته.

ب- ينبغي أن يُعلم أنّ الشيخ ابن تيمية رحمه الله ﷻ وتلميذه ابن القيم جزاه الله ﷻ خيرًا إنّما هما عالمة على ما أثبتته الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، ولا يعتبر هذا عيبًا، بل هو سنة الله تبارك وتعالى في العلم والتعلم، فاللاحق يستفيد من السابق، وتظهر هذه الحقيقة بمجرد التأمل بما كتب الإمام الغزالي وأمثاله رحمهم الله تعالى، وما كتبه الشيخان ابن تيمية وابن القيم وأمثالهما جزاهم الله ﷻ عن المسلمين بما يليق بكرمه اللائق به ﷻ، ولتوضيح معنى كلمة "عالمة" أنقل ما ورد في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان ﷺ قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:-

(النَّاسُ عِيَالٌ فِي الْفِقْهِ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ) تنكرة الحفاظ (168/1).

ج- الحقائق المستفادة من النصوص المنقولة كثيرة جدًّا، منها:-

1- كرامات الأولياء حقّ، والإيمان بها واجب، وإنكارها صفة المبتدعين.

2- الصوفية والتصوّف: علمًا أنني لا أحبذ التمسك بهذا الاسم لأنّه جنى على الحقائق فأودّ أن أسميه - التربية الروحية، أو التزكية، أو العمل الروحي- فهذا هو جوهر التصوّف، وهو من صلب الدين وحقيقته.

3- المقامات والأحوال من أصول الإيمان وقواعد الدين.

4- المواجيد والواردات محمودة إذا كانت أسبابها مشروعة، والعكس بالعكس.

5- القلب المعمور بالتقوى يحق له الترجيح في الفتوى، له قوة الجولان في الملكوت، يأتي بفوائد من غير أن يؤدي إليه عالمٌ علمًا، محلّ للتجليات الصادقة، فتتبيّن له حقائق الأشياء وتتكشّف ولا سيما في الفتن.

وهذا هو الذي حصل في بلدنا لأهل الحق، فبفضل الله تعالى كانت الحقائق منكشفة بشكل أدّى إلى حماية الصادقين من الإتباع للأشرار والابتداع في الأفكار وحال دون سقوطهم كما سقط الكثيرون في أشياء لا أريد تلوّث لساني بذكرها ولا تدنيس قلبي بخطّها، والله عزّ وجلّ المنّة والفضل، وأسأل الله جلّ العافية والمغفرة للمسلمين والاستفادة من المرشدين رضي الله عنهم.

فانظروا يا رعاكم الله تعالى وتأملوا جيّدًا في النصوص المنقولة تجدوا أنّ الإجماع منعقد من علماء الإسلام رحمهم الله عزّ وجلّ على التأثير الروحي الإيجابي الذي ندعوا إلى الاستفادة منه ليجذبنا إلى الله سبحانه، فنكون له موحدّين، وعلى ذكره مداومين، وبرسوله صلّى الله عليه وآله مقتدين.

المبحث الثاني: حكم الرابطة الشريفة:

لم يبق من موضوع الرابطة على ما أعتقد إلا ذكر حكمها وبيان بعض ما يتعلّق بها، أمّا حكمها فقد قال شيخنا رحمه الله تعالى:-

(ثُمَّ إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ ذَكَرَ اللهُ جلّ وَاجِبٌ مَأْمُورٌ بِهِ، وَأَنَّ الْمُبْتَغَى مِنَ الرَّابِطَةِ إِنَّمَا: هُوَ التَّوَصُّلُ إِلَى آدَاءِ هَذَا الْوَاجِبِ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِ، أَدْرَكْنَا أَنَّ الرَّابِطَةَ الرُّوحَانِيَّةَ حُكْمُهَا الْوَجُوبُ لِلْمُكَلَّفِينَ الَّذِينَ لَا يَقْوُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ مِنْ دُونَ تَقْدِمَةِ رَابِطَةٍ، وَالنَّدْبُ لِمَنْ يَقْوُونَ عَلَى الْحَدِّ الْأَقْلَ مِنْ الذِّكْرِ لَكِنْ لَا يَقْوُونَ لِوَحْدِهِمْ عَلَى الذِّكْرِ الْأَتَمِّ، فَإِنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْمَنْدُوبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ) معالم الطريق ص 307-308.

وبما أنّ الرابطة الشريفة من أعمال القلوب والطاقات الروحية، فإنّي أنصح بني البشر بشكل عام والمسلمين بشكل خاصّ بالعناية الكبيرة بما يثري ثقافتهم الروحية، وذلك بمطالعة أقوال الربّانيين من علماء الإسلام القدامى والمعاصرين التي لها علاقة وثيقة بالثقافة الروحية، والاستفادة من أبحاث الأساتذة

الذين يعنون بالطاقات الروحية والظواهر التي تجسّد عالم ما وراء الطبيعة، فأخذ الحكمة والحرص عليها من صفات المؤمنين كما قال سيّدنا رسول الله ﷺ:-

(الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا) الإمام الترمذي رحمه الله تعالى (51/5).

وخير ما اطلعت عليه في الأبحاث الحديثة هو ما في موقع الدكتور عبد الدائم كحيل:- "أسرار القلب"، على أنّي أودّ أن يُعلم بأنّ هذه النتائج يُستأنس بها، فالأدلة المذكورة في ثنايا أبحاث الرابطة كافية بإذن الله تبارك وتعالى للمؤمنين والمؤمنات.

كما أرجو أن يُلاحظ بأنّ موضوع الرابطة اجتهادي قد تتعدّد فيه الأقوال، والأمر فيه سعة والحمد لله، والرابطة من المسائل الذوقية التي يصعب وصفها وربما يستحيل على بعض الأفهام فهمها.

فأقول للمستفهم: صدق الله تعالى حتّى يوردك موارد الأنس بها.

وأنصح أحبّائي أن تتّسع صدورهم للمستفهمين، فتحمل الأذى في سبيل الله ﷻ من الصور الناصعة والمساحات المنيرة في حياة الدعاة، وإذا كانت هذه الكلمة تثير لغطاً بين المسلمين بسبب كثرة معاول الهدم أو ضعف الثقافة الروحية عندهم فإنّه من السهل جدّاً على الصادقين التنازل عنها أو استبدالها بألفاظ أخرى يمكن الاصطلاح عليها طالما آمنّا بمضمونها.

وأرجو أن يُعلم أنّ الفائدة الروحية التي عبّرت عنها كلمة "الرابطة" لا تنحصر عند فئة ممّن يعنون بالتزكية، فقد أجمع الربانيون على نفعها ووصّوا المسلمين بطلب مصادرها، وأروي عن شيخي طيّب الله تعالى روحه وذكره وثره سماعاً منه ما يلي:-

(اعْلَمْ يَا وُلْدِي أَنَّ سَيِّدَنَا حَضْرَةَ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْكَيْلَانِيِّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ كَانَ يَعْمَلُ عَمَلَنَا هَذَا).

ثمّ تشرّفت بالاطلاع على وثيقة إجازة بالإرشاد بالطريقة القادرية صادرة إلى الشيخ محمد أمين من السيّد عبد الحميد الألوسي قدّس سرّه في 1282 هـ الموافق لسنة 1865، وإليك نصّها:-

(الحمد لله الذي أجاز مَنْ انحاز إلى حزبه وسلك طريقة ذوي حبه أسنى جوائزها الفاخرة، وأنال مَنْ مال عن السوى وأعرض عن سبيل أولي الهوى مقامًا عليًّا في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على أكمل مرشد بعثه للناس هاديًا ولتوحيده داعيًا، وعلى آله وأصحابه المريدين لما يريد، الموردين أعدائه بمرفعات الحديد كأسًا من وخيم الموت وافيًا، أمّا بعد: فإنّ ولد قلبي، وحبیب لبي، الورع الزاهد، والعارف العابد، فرع الشجرة الهاشميّة، وفنن الدوحة الفاطميّة، المكين الأمين السيّد محمّد أمين، لمّا صرف للسلوك على يديّ في مسالك الطريقة مدّة مديدة من نفيس عمره، وبذل في خدمتها والتأدّب بأدابها على الحقيقة سنين عديدة من سالف دهره، وتحقّق لديّ وصوله المطلوب، وانتظامه في سلك أرباب القلوب، وشمول بركته المترددين إليه من إخوانه المسلمين، وتأثير توجّهاته في المنتمين إليه من المريدين، وقابليته للإرشاد ولياقته للإمداد، أجزته بالإرشاد في الطريقة العليّة القادريّة وفق الشريعة الغراء، وأذنت له بتلقين كلمة التوحيد، وتسليك المريد، والتوجّه السديد لمن شاء، حسبما أجازني شياخي ذو الفيض الربّاني الشيخ عبد الرحمن الطالباني قدّس سرّه، عن والده الحليم الأوّاه رئيس عارفي زمانه بالله الشيخ أحمد قدّس سرّه، وهو عن والده ذي الهمم العليّة والبراهين الجليّة الشيخ محمود قدّس سرّه، وهو عن المرشد الكامل والفرد الذي ليس له في عصره مماثل الشيخ أحمد الهندي قدّس سرّه، وهو حسب إجازته الشهيرة بين الخاصّ والعامّ الغنيّة عن تحرير ما لا طائل تحته من ذكر أسماء أولئك السادة الكرام فاضلاً عن فاضل، وكاملاً عن كامل، إلى حضرة الباز الأشهب والغوث الأنجب القطب الربانيّ والهيكل الصمدانيّ سيّدي الشيخ عبد القادر الكيلانيّ قدّس سرّه وعمّنا برّه، وهكذا كابرًا عن كابر، وطاهرًا عن طاهر، إلى حضرة قطب دائرة الوجود والدرّة الفاخرة البارزة من عيلم كنز الكرم والوجود خليفته تعالى في خليقته وأمينه سبحانه على أسرار تجلّيات حقيقته سيّدنا ورسولنا محمّد ﷺ وشرف وعظم وكرم، عن جبريل عليه السلام، عن ربّ العزّة جلّ جلاله وعمّ فضله ونواله.

فأسأله جلّ شأنه وعزّ سلطانه، بحرمة أسمائه الحسنى ورفعة مقامه الأسنى، أن ينفع المسلمين بصالح دعواته، ويفيض على المريدين شأبيب فيوضات توجّهاته، وأنا ضمّين لمنّ صحبه بحسن الحال في الحال والمآل، ولمنّ لازمه نيل المُنَى وبلوغ الآمال، فإنّ همم الرجال تقلع الجبال.

وأستغفر الله العظيم لي وله ولجميع المسلمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين).

السيّد عبد الحميد القادري النقشبندي الألووسي عفي عنه.

وَمَنْ أَرَادَ الْإِطْلَاعَ عَلَى أَصْلِ هَذِهِ الْوَثِيقَةِ فَلْيَتَّصِلْ بِفَضِيلَةِ السَّيِّدِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ الْخَالِقِ نَاجِي السَّامِرَائِيِّ لِأَنَّهُ مِنْ أَحْفَادِ الشَّيْخِ الْمَجَازِ.

وَبِهَذَا أَكُونُ قَدْ أَتَيْتُ عَلَى نَهَائِيَةِ بَحْثِ الرَّابِطَةِ، جَعَلَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعِبَادِهِ نَافِعَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى وَسَلِّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوَّلًا
وَأَخْرًا وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

الخاتمة

بعض نتائج البحث وأهمّ الوصايا.

أ- بعض نتائج البحث:

- 1- الإيمان بالروح وطاقاته واجبٌ شرعاً.
- 2- الاعتقاد بالتأثير الروحي الإيجابي والسلبي مُجمَعٌ عليه.
- 3- العلم الحديث يُثبت التأثير الروحي على أنه حقيقة علمية.
- 4- العمل الروحي لا يشدُّ عن سنن الله تعالى في الحاجة إلى الوسائل.
- 5- الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى لا ينكران العمل الروحي وجواز الاستفادة من الصالحين إنّما ينكران على المدّعين، حالهما كحال بقية علماء الإسلام.
- 6- الاعتقاد ببصيرة نافذة ونفس فعّالة أمرٌ مُجمَعٌ عليه عند علماء الإسلام.
- 7- تصوّر مخلوق في القلب مع الاعتقاد بأنّه يجذبك إلى الله ﷻ ليس شركاً ولا عبودية لغير الله ﷻ، بل وسيلة للقرب من الله ﷻ بإذنه.
- 8- المدارس الروحية المتشعبة بحبل الكتاب والسنة تدعوا بإجماع للاستفادة من الطاقات الروحية للمرشدين.

ب- أهمّ الوصايا:

- 1- العناية بالثقافة الروحية لأنها واجبة على المسلمين والمسلمات.
- 2- ينبغي على علماء الأمة أن يكونوا في مقدّمة من يتتقون بثقافة الروح ويغرسون أقاليمها في مواضع الخصب من أفكارهم لينهضوا بأجيال المسلمين شبيهم وشبانهم.
- 3- التريث في إصاق التّهم بأهل الفضل والعلم، والتثبّت ممّا ينسب إليهم.
- 4- سعة الصدر في قبول الآخر فديننا يقرّ التنوّع المفضي إلى الجمال والتكامل.
- 5- ابحت عن مرشد موصل اليد بحضرة خاتم النبيين ﷺ.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- 1- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، المؤلف: صديق بن حسن القنوجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، 1978، تحقيق: عبد الجبار زكار، عدد الأجزاء: 3.
- 2- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، سنة الولادة 450، سنة الوفاة 505، الناشر: دار المعرفة، مكان النشر: بيروت، عدد الأجزاء: 4
- 3- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ، عدد الأجزاء: 10.
- 4- الأساس في التفسير، المؤلف: سعيد حوى، دار النشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1991.
- 5- البحر المديد - المؤلف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، عدد الأجزاء: 8، دار النشر/ دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية/ 2002 م - 1423 هـ.
- 6- البلاغة العربية، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م، عدد الأجزاء: 2.
- 7- تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) المؤلف: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالكي الأندلسي، دار النشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت/ لبنان - 1403 هـ - 1983م، الطبعة الخامسة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، عدد الأجزاء: 1.
- 8- تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائمَز الذهبِي (المتوفى: 748هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م، عدد الأجزاء: 4.
- 9- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: دار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ، عدد الأجزاء: 30.

- 10- تفسير أبي السعود - أبو السعود، الكتاب: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: 9.
- 11- تفسير الشعراوي - الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: 20.
- 12- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: 774 هـ)، المحقق: محمود حسن، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الطبعة الجديدة 1414 هـ - 1994م، مصدر الكتاب: موقع مكتبة المدينة الرقمية، <http://www.raqamiya.org>
- 13- تفسير النسفي، الكتاب: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي، عدد الأجزاء: 4.
- 14- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، [224 - 310 هـ]، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م، عدد الأجزاء: 24، مصدر الكتاب: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، www.qurancomplex.com
- 15- جامع العلوم والحكم، المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.
- 16- الجواب الكافي - ابن قيم الجوزية، الكتاب: كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: 1.
- 17- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، 1405، عدد الأجزاء: 10.
- 18- خزانة الأدب وغاية الأرب، المؤلف: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرايبي، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، 1987، تحقيق: عصام شعيتو، عدد الأجزاء: 2.
- 19- ديوان البوصيري، من المكتبة الإلكترونية الشاملة، الاصدار 3.13
- <http://www.shamela.ws>
- 20- الرسالة القشيرية، المؤلف: القشيري، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

- 21- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: 30.
- 22- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: 2.
- 23- سنن الترمذي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، عدد الأجزاء: 5.
- 24- السنن الكبرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م عدد الأجزاء: (10 و 2 فهارس).
- 25- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، المتوفى سنة 213 هـ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، الناشر دار الجيل، سنة النشر 1411 هـ، مكان النشر: بيروت، عدد الأجزاء: 3 - 6.
- 26- شرح النووي على مسلم: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، 1392، عدد الأجزاء: 18.
- 27- صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى 1422هـ.
- 28- صحيح مسلم: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل - بيروت، ودار الأفاق الجديدة - بيروت.
- 29- زاد المسير - ابن الجوزي، الكتاب: زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، 1404، عدد الأجزاء: 9.

30- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (المتوفى: 157 هـ) مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 72، 1415 هـ - 1994 م.

31- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين العيني الحنفي، مصدر الكتاب: ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث، المكتبة الشاملة الاصدار 3.13، <http://www.ahlalhdeth.com>

32- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، المؤلف: أبو عبيد البكري، المحقق: إحسان عباس، الطبعة: 1، تاريخ النشر: 1971، الناشر: مؤسسة الرسالة، عنوان الناشر: لبنان - بيروت، مصدر الكتاب: موقع الوراق، <http://www.alwarraq.com>.

33- فيض القدير - المناوي، الكتاب: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: عبد الرؤوف المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، 1356، عدد الأجزاء: 6.

34- في ظلال القرآن، المؤلف: سيّد قطب، مصدر الكتاب: موقع التفاسير.

<http://www.altafsir.com>

35- القاموس المحيط: المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817 هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، عدد الأجزاء: 1.

36- مجموع الفتاوى، المؤلف: أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني. المحقق: أنور الباز - عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، 1426 هـ / 2005 م، عدد الأجزاء: 37 (35 + 2 فهارس)، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.

37- المحيط في اللغة، المؤلف: أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، دار النشر: عالم الكتب - بيروت/ لبنان - 1414 هـ - 1994 م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عدد الأجزاء: 10.

38- مختار الصحاح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة طبعة جديدة، 1415 - 1995، تحقيق: محمود خاطر، عدد الأجزاء: 1.

39- مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلبي، المتوفى سنة 778 هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر دار ابن القيم، سنة النشر 1406 - 1986، مكان النشر: الدمام - السعودية.

- 40- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، المتوفى (751 هـ)، تحقيق: بشير محمد عيون، ط: 2، مكتبة دار البيان، 1424 - 2003.
- 41- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 50، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.
- 42- مصنف ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235 هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، 1409، عدد الأجزاء: 7.
- 43- مضاهاة أمثال كليلة ودمنة موافقا للمطبوع، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر اليميني، دار النشر: دار الثقافة، بيروت - لبنان، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، عدد الأجزاء: 1.
- 44- معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي: المؤلف د. عبد الله مصطفى، الطبعة الأولى - عمان (د. ن)، 1993.
- 45- المعجم الصغير للطبراني، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة الأولى، 1405 هـ - 1985 م، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمير، عدد الأجزاء: 2.
- 46- معجم القواعد العربية، المؤلف: الشيخ عبد الغني الدقر، مصدر الكتاب: مكتبة مشكاة الإسلامية.
- 47- موسوعة الرقائق والأدب، المؤلف: ياسر بن أحمد بن محمود بن أحمد بن أبي الحمد الكويس الحمداني، عدد الأجزاء: 1.
- 48- موسوعة الشعر الإسلامي، جمعها وأعدّها: علي بن نايف الشحود <http://www.alwarraq.com>، عدد الأجزاء: 5، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: 1 - 1968 م، مصدر الكتاب: موقع الوراق، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ، عدد الأجزاء: 1.
- 49- نفحات الحياة، المؤلف د. عبد الله مصطفى، الطبعة الأولى بغداد، 1995، شركة الفكر للتصميم والطباعة المحدودة.